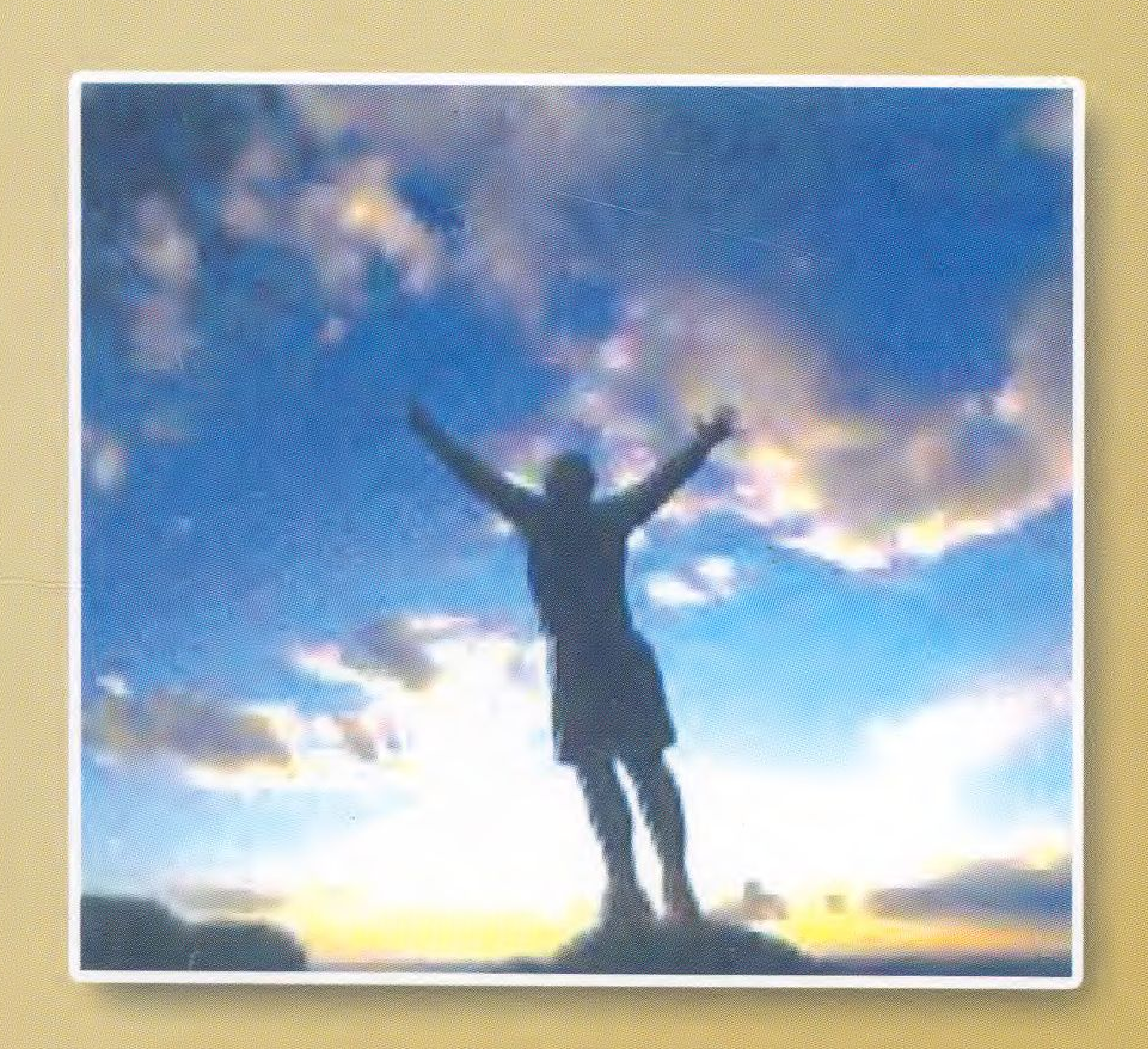
السيكولوجيا والكنيسة



إعداد

د. ماهر كامل

أستاذ بالكلية الأكليريكية العليا بالقاهرة (سابقا)

مدير عام الدراسات الدولية بجامعة نيوجيرسي

رئيس قسم الفلسفة

بكلية المعلمين بجامعة عين شمس سابقا

أستاذ بجامعات نيوجرسي ونيويورك وبنسلفانيا

وسان بيتر سابقا

السيكولوجيا والكنيسة



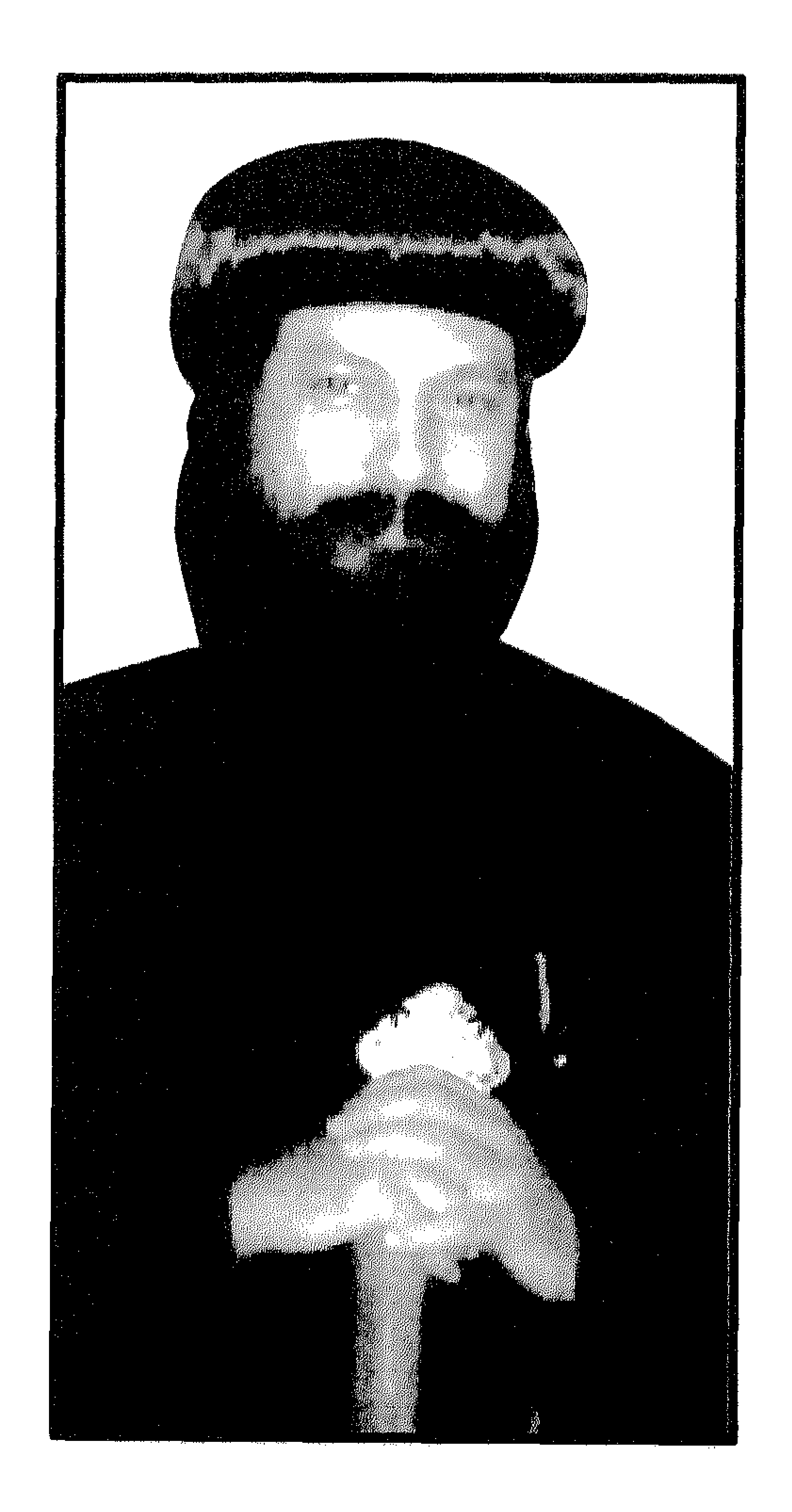
إعداد

د. ماهر كامل

أستاذ بالكلية الأكليريكية العليا بالقاهرة (سابقا)
مدير عام الدراسات الدولية بجامعة نيوجيرسي
رئيس قسم الفلسفة
بكلية المعلمين بجامعة عين شمس سابقا
أستاذ بجامعة نيوجرسي ونيويورك وبنسلفانيا
وسان بيتر سابقا



صاحب القداسة والغبطة البابا
شنوده الثالث بابا وبطريرك
الكرازة المرقسية
الرجل الذي صنع التاريخ الجديد للكنيسة
القبطية ووضع لها خريطة جديدة حول العالم



صاحب النيافة الأنبا دافيد
الأسقف العام
شمال وشرق أمريكا

المحتويات

بطاقة شكر

أقدم خشوعى وسجودى لله كلى القدرة الذى سمحت أرادته أن أقدم هذا الكتاب كوسيلة من وسائل الخدمة الروحية والصلاة لصاحب المجد والقوة. يسعدنى أن أقدم هذا الكتاب لعله يكون ذا فائدة لأبناء الكنيسة ملائكتها وخدامها.

وأقدم شكرى لكل من قدموا أى مساعدة خاصة فى إصداره وأخص بالشكر الأخ عريان جرجس وزوجته مدام مارى لعملهم الدائب فى إعداد هذا الكتاب للطبع بهذه الصورة الرائعة.

وأقدم من كل قلبى شكرى العميق للدكتورة جانيس فان آلن Janice Van Alen التى أمدتنى بمراجع عاونت على جمع هذه المادة كما قامت بتوزيع هذا الكتاب على الكنائس القبطية فى أنحاء أمريكا والخارج مما استلزم جهدا يعتز به.

وأود أن أقدم أعترافى.بفضل ابنى الحبيب فرج يوسف قلدس صاحب مطابع سفنكس بالقاهرة وجميع ومعاونيه وعماله وعلى الاخص ابنته جوى المختصة فى الكمبيوتر.

إلى جميع هؤلاء أقدم الشكر كما أقدم تقديري العميق لجميع آبائى الكهنة ملائكة الكنائس القبطية الذين ألحوا ذكر جميع مؤلفاتي أمام رعيلهم فى الكنيسة لقراءة ما سمحت الإرادة الإلهية أن أكتب. إنى مدين بفضل جميع من قاموا بأى مساعدة..

دكتور ماهر كامل

الفصل الأول

السيكولوجيا تعريف وتأريخ وتحذير

قبل كل شيء كمؤلف لهذا لكتاب أود أن أؤكد في هذه المقدمة أني إذ تعرضت لكثير من القصص التاريخية المحققة في تاريخ الرهبنة أن أذكر في وضوح وصراحة أني لم أقصد إطلاقا أن أؤيد أو لا أؤيد أية فلسفة رهبانية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. من أنا ليفعل ذلك. أنا لست شيئا أكثر من مؤرخ وسيكولوجي يحكي التاريخ الحقيقي لبعض المجمعات الرهبانية في كنيستنا الأرثوذكسية التي اجتذبت العالم بأسره وساعدت على نشر المسيحية على نمط الأديرة القبطية.

الترجمة العربية لكلمة سيكولوجيا هى علم النفس. وترجع هذه الترجمة إلى الأصل اليونانى المكون من كلمتين. الكلمة الأولى هي بسيكى Psyche ومعناها النفس أو الروح أو العقل. القسم الأخير من الكلمة لوغوص Logos ومعناها البحث أو العلم أو (الكلمة فى المعنى الدينى).

ولهذا استخدمت اللغة العربية كلمة علم النفس. تحليل الكلمة اليونانية كما استخدمها ارسطوطاليس الفليسوف

اليوناني تشمل فى الواقع اكثر من مجرد النفس. إنهـا تـشمل الروحانيات و العمليات العقلية والانفعالية والسلوك الانسانى بوجه عام كما استخدمها ارسـطو فى كتابـه De Anima أى الأحياء. أطلق كلمة سـيكولوجيا لتتـضمن معرفـة الـذات أو الروح وتحدث فى كتابه عن قوة الإدراك والتفكير والقدرة عـلى النقد والتحليل وتكوين الشخصية والعلاقات الشخـصية. وفى العصور الحديثة شملت الحديث عن العقل الباطنى وتكـوين الضمير الانسانى والعواطـف والانفعـالات المختلفـة ودوافـع السلوك والنشاط الانسانى. وشملت حتى بعـض التـصرفات التى تعود إلى أسباب نيورولوجية والنمو الانـسانى والـصحة العقلية إلى غير ذلك الكثير. من هذا يتضح أن كلمة علم النفس ليست مقابلا صحيحا للأصل اليونانى "سيكولوجيا".

تعود هذه الكلمة "سيكولوجيا" إلى أصل فلسفى عريـق نجده متضمنا فى مصر القديمـة واليونـان والـصين والهنـد. وتطور معنى الكلمـة حتـى شـمل الميـدان التجريبـى منـذ العصور الوسطى وتتضمن أي اتجاه علاجى بنوع خـاص فى العصور الاسلامية التى أنشأت مستشفيات لهذا الهدف. وقـد تحدث عن ذلك فى جلاء الدكتور إبراهيم سيد فى مقاله المنشور عام ٢٠٠٢ فى جريدة جمعية الطـب وتـاريخ تطـوره بنـوع خاص فى مصر. حاول الأطباء المصريون فى وقت قـديم إزالـة بعض الأغشية فى المخ وأعتقدوا أنها السبب فى بعض الأمراض العقلية. وقد سار على نفس المنوال بعـد ذلـك أطبـاء فـارس والصين وحضارات قديمة أخرى.

وفى سنة ١٨٠٢ عمل الفيزيولوجى الفرنسى بيير كابانيس Pierre Cabanis على تطوير علم النفس الفيزيولوجى فى كتابه Rapports du physique et du Moral Aspects de l' homme وحاول أن يربط بين الفيزيولوجيا والأخلاق الإنسانية ولكن هذه المحاولات فى الواقع ليست الأولى بل يمكن أن نعود إلى سنة ١٠٢١ إلى الحازن الذى كتب كتابا عن البصر ذكر فيه بعض التجارب الطبية - أخلاقية.

ولكن فى عام ١٨٧٩ أنشأ ولهلم فنت Wilhelm Wundt في جامعة ليبزج Leipzig University فى ألمانيا أول معمل سيكولوجي ولهذا يعرف اسم فنت بأنه أبو السيكولوجيا الحديثة. ونشر السيكولوجى الأمريكي وليام جيمس William James كتابه بعنوان "مولد السيكولوجيا Birth date of Psychology.

ونشر أيضا جيمس كتبه "مبادئ علم النفس سنة ١٨٧٩" وفى سنة ١٨٤٩ نشر الفيزيولوجى الروسى "أيفان بافلوف Ivan Pavlov" تجاربه على التعليم وكيف نتعامل مع مبدأ التجارب والخطأ ومنذ عام ١٨٩٠ حتى وفاته ١٩٣٩ نشر الطبيب النمساوى سيجموند فرويد Sigmund Freud نظريته فى تحليل السلوك الانسانى مستخدما بنوع خاص طريقته فى التحليل والعلاج السيكولوجى وطور فكرته عن العقل الباطن اللاشعورى والتنويم المغناطيسى. ولعل من أشهر نظرياته تحليل الشخصية إلى ثلاثة أجزاء وهى Id (مخزن الدوافع اللاشعورية) و Ego(الذاتية) والسوبر إجو

(الذى يشمل الضمير والدوافع الجنسية والروابط بين الأحلام وعالم الواقع). إلا أن العلماء الامريكيين حديثا تجاهلوا تماما نظريات فرويد واعتبروها آراء ميتة وغير حقيقية. وحلت محلها مبدئيا النظرية السلوكية Behaviorism ثم النظرية التجريبية التى تكاملت فى أول القرن العشرين بنظرية جون واطسن John Watson وطورها بعد ذلك العالم ادوارد ثورنديك Thorndike والعلماء ادوارد طولمان وكلارك هل Hull وأخيرا سكنر B.F. Skinner وتجاهل هؤلاء عددا من الاصطلاحات السابقة مثل العقل الباطن أو الضمير واللاشعور وأخذوا فقط بالسلوك الواقعى وصلته بالأحداث المحيطة الجارية. ولهذا تطور اسم النظرية إلى "الوجودية Existentialism" لأنها أصبحت لا تعبأ إلا للوجود المرئى الذى أصبح ينتصر حتى على الموت. كتب العالم النمساوى فيكتور فرانكل الذى استطاع أن يتجاوز قوة الموت فى المعسكرات الألمانية التى قتلت حوالى ستة ملايين يهودى. قال لا زلت أذكر كيف أن بعض الذين كانوا على وشك الذهاب إلى حقول الموت كانوا يتجولون بين صفوف الأحياء ويسلمونهم قطع الخبز التى أخذوها لآخر مرة فى حياتهم. كانوا يقبلون الموت القابس على أبوابهم ويعلنون انتصارهم عليه. "أن الحياة ليست هى الواقع الحالى فحسب وليست الماضى ولا المستقبل فقط". هذه العبارة قالها العالم جورج كلى Kelly الذى أطلق على طريقته "الوجودية السلوكية". استمرت هذه النظرية حتى ما يقرب من نهاية القرن العشرين.

ولكـن منـذ أواخـر القـرن المـاضى ظهـر فى سـماء السيكولوجيا استاذ جديد بنظرية جديدة. العالم هـو نـاعوم كومسكى الذى قال عنه سكنر Skenner بأن نظريته أقـرب إلى الحيوانية من الانسانية الراقية وأما السلوك الانسانى فهـو مبنى على اعتبار الامل فى المستقبل والحياة الاخرى.. بدون هذا الأمل تصبح الحياة فى قيمتها مدعوة للانهيار. إننـا لا نعـيش بالسطحيات الحيوانية ولكن بالآمال الحية فينا التـى تقـوى الايمان المسيحى وما بعد الموت. إننا لسنا حيوانـات بـل فكـر متجسد يقوم على أساس الأمل والفكر المتبسم الذى لا ينثنـى أمام تقلبات الوجود.

إن الوجود الحقيقى يستلزم معرفة الحقيقة التى تتطلع إلى تغيير هذا الوجود المؤقت بوجود خالد آخر.

وجاء بعدها استاذة سـيكولوجية أخـرى تؤيـد نظريـة المعرفة التى تدعو إلى النظر إلى الأمام إلى النور. اسـم العالمـة السيكولوجية اليزابيـث لـوفتس Elizabeth Loftus قالـت لا ينبغى أن ننظر إلى الوجود الذى صنعناه بل إلى نـور الأمـل الذى لم نصنعه حتى لو أدى إلى الكبت والأحزان. هناك تطور أفضل من ذلك وأعلى مرتبة من الناحية العقلية التـى تقودنـا إلى طريق النور والحقيقة والحياة. وليست إلى طريـق اليـأس والموت. وهذا ما ظلت تنادى به السيكولوجيا فى القرن الحادى والعشرين ويسمى النظريـة النقديـة.. "ارفـضوا فكـرة أن الحاضر سوف يفنى ومعه جميع العوامل التى تؤدى إليه. إن الاختيار الصحى هو الاختيار الذي يفـضل الحيـاة الاخلاقيـة لمصلحة الانسانية الحـاضرة والمـستقبلة. لا تقبلـوا الحـاضر

بذاته بل أنظروا إلى ما هو أفضل وأجعلوا منــه منــارا دافعــا لحياة أفضل". هذا هو الموقف الأخير للاتجاهات السيكولوجية فى انقرن الحادى والعشرين.

هكذا تغير وجه السيكولوجيا عن العصر الفرويدى الذى مجد الجنس كدافع أول للحياة واعتبر اللاشعور المكــون مــن الماضى أساسا وتغير إلى أن أصبح علم السيكولوجيا فى القــرن الحادى والعشرين داعيا اساسا للحيــاة الخالــدة الــصحيحة كأساس للوجود العقلى المبنى على الأمل والرجاء فى المستقبل.

رغم هذه التطورات الأخيرة فى مجــرى الــسيكولوجيا أود أن أشير بقوة أنه لا ينبغى أن نعتمــد كثــيرا عــلى النظريــات السيكولوجية للعلاج النفسى لأن الكثير منها يعتمد فى جوهرها على أخطاء وتتعارض مع الدين. فهناك بعض رسائل للعــلاج السيكولوجى تعتمد على أسس ترتبط مع الجسد اكثــر منهــا مع الروح. وتأخذ يقينا بنتائج بعض التجارب العلميــة اكثــر من اعتمادها على الإنجيل المقدس.

للأســف لا يــزال بعــض الــسيكولوجيين يعتقــدون ان الكثيرين من البشر ليسوا دائما فى حالة صحية سليمة ولهــذا يسيئون فهم الإنجيل ويحتاجون إلى علاج سيكولوجى حتــى يعودوا إلى الحالــة الطبيعيــة الــسليمة. إنهــم مــرضى عقليــا ويحتاجون إلى علاج عقلى وســيكولوجى يتفــق مــع الحالــة الانفعالية التى يمرون فيها. هذا الزعم يجعلهم يعتقــدون أن كل كاهن ينبغى أن يدرس بعمق مبادئ السيكولوجيا والعلاج النفسى. يقولون أن كل كاهن يجب أن يكون معالجــا نفــسيا

كما هو كاهن دينى يتعامل مع روحانيات أفراد الشعب على درجاته من النمو.

وأنا كمؤلف لهذا الكتاب ومختص فى السيكولوجيا كما أنى رجل دينى ومهتم فى عمق بالروحانيات أؤكد أن حديث الكاهن عادة أقرب إلى القلب والروح من كل عبارات المعالجين النفسيين. الكهنوت قوة روحية صارخة تصل إلى القلب والعقل بصورة مباشرة. من الخبرة الشخصية. يؤكد المؤلف أن للكاهن قوة فريدة ليست فقط منه شخصيا ولكن من الروح القدس الذى هو أعلى بكثير من قوة البشر. مع الكهنوت توجد روح الهية تتجسم فيه منذ نال سر الكهنوت. إن حقيقة الكاهن القبطى وجوهره يدل على أن لله يعمل فيه فى كثير من مناحى الحياة. إنه عندما يصلى أمام أى فرد من أفراد الشعب فهو لا يستخدم قوته الشخصية إنما يطلب من الله أن يكون حاضرا وأن يلمس بيده المريض فيخرج منه شيطان الخطية ويضئ الطريق الصحيح. لا يمكن مقارنة الكاهن بأى معالج سيكولوجى يهتم بمكونات الماضى ودوافع الجسد. لا ينبغى أن نقارن اطلاقا بين الشخصيتين الكاهن بقوته الروحية من ناحية والمحلل النفسى بعينه البشرية وقدرته الفكرية الخاصة. أننا على أى حال لسنا بصدد هذه المقارنات السخيفة. الكاهن هو القائد الروحي لشعبه ولهذا يجب أن يكون دائما موضع الاحترام والتقدير والتبجيل والمحبة. ومن ناحية أخرى لأن الكاهن بسبب وضع قيادته الدينية ينبغي التسليم بأن الواقع يقضي أن يعتبر أعلى مكانة – رغم تواضعه – عن أي شخص مدني وأن يكون هناك اعتراف

شامل بروحانيته وقدسيته الأسمى. إذا كان المنهاج السيكولوجى مبنيا على قواعد صحيحة وناجحة قد يعاون فى علاج المريض. ولكن الاعتماد الجوهرى ينبغى أن يكون على الايمان وأن يكون الدور الاساسى هو دور الكنيسة. ذلك أن الكاهن من الله وأما المعالج السيكولوجي فمن العالم.

وأود أن أؤكد أن حديثنا عن المعالجين النفسيين لا يعنى اطلاقا حديثنا عن جميع الأطباء فهناك ملايين الأطباء قديسون فى حياتهم. لو كان الله لا يرضى بوجود الأطباء أو المعالجين كان يمحى وجودهم. ولكن للأطباء أهميتهم. على سبيل المثال القديس لوقا البشير كان طبيبا ومع ذلك اختاره الله كواحد من الإنجيليين المقدسين. ولم يطلب الإنجيل فى أى من نصوصه عدم استخدام الأطباء بل على العكس اعتبر الكثيرون من القديسين أن الأطباء وسيلة يستخدمها الرب لتحقيق رغباته. إنه يسمح بأن يلهم الطبيب بالطريقة أو الدواء الذى يستخدمه فى العلاج. كان المرحوم ابنى الكبير د. وجدى كامل الذى انتقل حديثا إلى الملكوت طبيبا وجراحا مشهورا وكان دائما يصلى على المريض قبل أن يقدم على أى عملية جراحية. فليس هناك تعارض اساسا بين العلم والدين. لا ننكر أن هناك بعض الأطباء المتغطرسين ولكن هذه الخطيئة موجودة فى كل طبقات الشعب وسوف ينال كل منهم فى النهاية ما يستحق إن كان خيرا أو شرا. لا أعتقد أن الكثيرين يعممون بالقول إن جميع السيكولوجيين أو الأطباء أشرار.

لا يعرف الكثيرون أن السيكولوجيا كما قال العالم الذى نال جائزة نوبل الدكتور رتشارد فينمان Richard Fenman يمكن اعتبارها دين آخر. وكلا الدينين المسيحية والسيكولوجيا ينص على كيفية الخطوط التى ينبغى أن تسير عليها فى حياتنا الخاصة والعامة. يقول السيكولوجي العالمى السويسرى يونج أن المعالج النفسى بالنسبة للمريض يقوم بدور الكاهن فى أحوال كثيرة . المعالج النفسى قد يفكر فقط فى تحرير المريض من عوامل جنسية مكبوتة ومختبئة بسبب الضغط الاجتماعى والنفسى فى داخله ولهذا يتدخل المعالج في بعض الأحيان عن أمور لاهوتية. هذا هو نص ما ذكره يونج فى وضوح أن المعالج قد يتدخل فى شئون دينية. لم ينكر أن طبيعة الانسان مغمورة بعوامل الدين ومبادئه المرتبطة فى قاعدتها بالعقيدة. الدين من غير شك موجود فى الشخصية الانسانية بسبب التأثيرات المحيطة به منذ الطفولة. ولهذا نجد أن كلا من يونج وفرويد وغيرهم من كبار السيكولوجيين اليهود المنحرفين كانوا يعتبرون أنفسهم كآلهة لدين مستقل وهو دين العلاج النفسى وأن هذا الدين قد يتعارض مع المسيحية فى بعض مبادئه وممارساته.

وفي الأمثلة على ذلك أن السيكولوجى توماس زاس Zasz يقول إن العلاج النفسى قد لا يتدخل فقط بصورة مباشرة فى العوامل المكبوتة فى داخل الشخصية المريضة ولكنه يتدخل أيضا فى الناحية الدينية. ولهذا يطلق زاس على العلاج النفسى إنه علاج الروح. ويستمر فى قوله "إن علاج الروح الذى كان فقط من اختصاص الكهنة أصبح فى القرن العشرين ممتدا إلى مجال العلم ولهذا أصبح من واجب الكاهن أن يجمع بين

الاثنين في طريقة العلاج ومبادئ الكنيسة. يقول زاس أصبحت هناك ضرورة أن الكاهن يدرس العلاج النفسى الذي يقوم على أساس سليم. إن كل وسائل العلاج النفسى أصبحت جزءا من الدين ولهذا قد يشمل العلاج النفسى الحديث عن كل ما هو لاهوتى حتى يمكن أن يحل المعقدات الداخلية الخفية فى الشخصية. لا يمكن لأى معالج نفسى أن يحل الكثير من العقد النفسية دون أن يتحدث عن الدين".

ينبغى أن ننظر فى حرص بالغ إلى الانحرافات التي طرأت على تفكير بعض المعالجين السيكولوجيين. هناك سيكولوجيون يصرحون بضرورة إنطلاق الحرية الجنسية وأن لا يكون هناك أى كبت داخلى لهذه الدوافع. أليس هذا مخالفا لمبادئ المسيحية. هناك سيكولوجيون يوافقون على العلاقات الجنسية مع نفس الجنس.. أليس هذا مخالفا تماما لمبادئ الدين.. اليس الزواج بين أثنين من نفس الجنس متعارضا بأن الله خلقهما ذكرا وأنثى منذ بداية العالم. إن هذه الممارسات مخالفة تماما لمبادئ الإنجيل. فى هذه الاعتبارات يعتبر العلاج النفسى دين مخالف للمسيحية تماما. إن السماح بهذه الممارسات يجعل من العلاج النفسى دينا وثنيا لعبادة الجسد ولذاته وذلك مخالف للمسيحية. والغريب إن بعض المعابد اليهودية في أوروبا وحول العالم تسمح بوجود مركز للجمع بين الجنسين من نفس النوع وتعمل تسهيلات خاصة للقائهم. إن هذه الممارسات مخالفة تماما لمبادئ الإنجيل سواء فى العهد القديم أو الجديد. ومما يذكر تاريخا فى عهد هيرودس أصدر الصدوقيون فى المجمع قرارا بالاجماع من المجلس اليهودى الأعلى بأغلبية منهم وقلة ضئيلة من الفرنيسيين يسمح بأن يكون للأب علاقة جنسية مع بناته

قبل زواجهن ولهذا تزوج هيرودس رغم أنه وثنى من زوجة أخيه هيروديا بالطريقة الصدوقية وعندما رقصت ابنة هيروديا أمامه وأصدقائه عمل العرض أنه مستعد لإعطائها نصف مملكته إذا شاءت. كان له هدف آخر يتعدى الإغراء لمجرد الرقص مرة واحدة أمامه.

لنعود الآن إلى الحديث عن الهدف من بدء دراسة السيكولوجيا منذ كتب الفيلسوف اليونانى أرسطوطاليس كتابه دى أنيما De Anima كان الهدف هو محاولة فهم الحياة الانسانية والحيوانية.. ما هى الحياة وكيف وجدت وما هى طبيعة الحياة الانسانية.. وأما علم العلاج النفسى فهو حدث قريب فى تطور السيكولوجيا وانحراف عدة انحرافات عن مجرد فهم الحياة الانسانية أو علم النفس أو الروح.

ويمكننا إذن أن ننظر إلى السيكولوجيا من حيث هدفها الأول وهو فهم الانسان فى نموه ومراحل نموه. يمكن أن تكون سيكولوجيا إحدى وسائل التربية وفهم مراحل النمو مساعدة للكاهن. الكاهن يتعامل مع الشعب بكل مراحل نموه أفراده وبنوع خاص مرحلة الشباب ومرحلة النضج والكهولة ولهذا من المهم للكاهن أن يكون ملما بالخصائص السيكولوجية لكل مرحلة من مراحل النمو وعارفا بتطورات الشخصية الانسانية. وأن يكون حريصا كل الحرص من الانحرافات الحديثة التي طرأت على التفكير السيكولوجي منذ القرن الماضي.

الفصل الثاني

الواعظ القدير واقتراحات سيكولوجية

كتـــب الـــسيكولوجي زوك R.B.Zuck ســـنة ١٩٩٦ فى كتاباته عن لاهوتيات العهد الجديد إن الـواعظ القـدير عليـه مسئولية كبيرة فى أن ينقل صورة السيد المـسيح لـه المجـد فى قوة وعمـق إلى المـستمعين ليـنقلهم مـن أحـوالهم المتباينـة ليتعمقوا فى الايمان وأن يصبحوا جزءا من المـسيح. هـذا هـو التعريف الذى حدده ذلك المؤلف للواعظ الناجح.

دعونا نحلل هذا التعريف وماذا يقصد ذلـك العـالم. أولا ينبغى أن يكون الواعظ نفسه يتمتع بعمق فى البصيرة. إنه هو نفسه ينبغى أن يكون متحدا مع السيد المسيح ويتمتع بوجود حقيقى للمسيح فى قلبه وإلا فهـو يكـون ممـثلا يـدعى لمـا لا يعنى. الواعظ الحقيقى يحس بأنه يتحدث من قلبه ويـرى هو نفسه بوضوح صورة السيد المسيح فى عقله وفى داخله. إن السيد المسيح هو حياته ذاتها. فهو لا يتحـدث عـن مثاليـات يتخيلها بل يعيش فيها. فإذا تحـدث عـن ملكـوت الـسموات يجب أن يكون واثقا كل الثقة أن الملكوت موجود وأنـه يـؤمن بهذا الوجود وأنه فى السماء كما هو فى داخل حياته نفسه. فإذا

كان فيه هذا الايمان القوى يمكنـه أن يتحـدث عنـه فى قـوة ويمكنه فى ثقـة أن يقـول عـن شـعبه اسـتطيع أن أجعلكـم سـعداء.. أسـتطيع أن أجعلكـم تعرفـون الراحـة والـسلام.. أستطيع أن أجعلكم كما أحس أنا وأن تروا مجد الله أمـامكم. وأن تصلوا معى إلى الطريـق الحـق والحيـاة .. أسـتطيع أن أقودكم إلى الطريق الضيق إلى الباب الضيق لأنـى أرى النـور. سوف أقـودكم إلى المائـدة الـسمائية وأن تكونـوا فى المكـان الجميل الذى ليس فيه ظلام. يمكنه أن يتحـدث عـن الراحـة النفسية مهما كان الألم الجسمانى. يمكن الواعظ المسيحى أن يصف كل هذا وكيف يبدو ذلك الموضع. يستطيع أن يتحـدث عنه كما لو كان يستنشقه فى داخله. قد يبـدو فى أول حديثـه غريبا عن المستمعين ولكنه تدريجيا يـستطيع أن يـنقلهم إلى حيث يرى ويصف ويحس فى ثقة وقوة وعمق وسوف يجعلهم يتوقون أن يكونوا حيث الانباء السعيدة والحياة المقبلة. سوف يرون المستقبل.

ثانيا: سوف ينقل اليهم الأمل فى رجاء وقوة وغير تردد أو تذبذب. إنه يتكلم فى قوة. مجرد الحديث لا يكفى بل أن يكون فى فوة ووضوح وحتى الحديث الواضـح لا يكفـى ولكـن أن يعبر في حديثه بطريقة لا يمكـن تجاهلهـا أو نـسيانها. إنـه يجتذب انتباهم بصورة متواصـلة لأن كلماتـه تكـون بـارزة أمامهم كلمة كلمة. عندما يتحدث يريد الجميع أن يسمعوا لأن لحديثه جاذبية خاصة. يمكنه أن يؤكد جملة مهمة ثم يتوقف لحظة ليعيد الجملة بصوت مختلف ثم يتوقف ليـشرحها ثـم يعود إليها. هكذا تصبح الجملة تأكيـدا فى ذاتهـا. تلتـصق فى

ذاكرة كل مستمع لمدة طويلة. مثال ذلك "المسيح يحبك" عبارة تجعل المستعين يتذوقوها ويحبوا أن يسمعوها كلما تكررت على مسمعهم. فى المسيحية عبارات كثيرة جدا من هذا المستوى ولها تأثيرها القوى.

ثالثا: يجب على الواعظ أن ينقل رسالته بأسلوب يجذب الانتباه وليس بنفس العبارات النائمة البطيئة وبنفس الطريقة التى قد تقود إلى النوم بدلا من أن توقظهم وتفتح عيونهم وأفواههم وسوف نتحدث بعد قليل فى هذا الفصل عن وسائل جذب الانتباه.

رابعا: من واجب الواعظ القدير أن يلمس فى حديثه الحياة الشخصية للحاضرين وأن يحلل بعض الأحداث الجارية حيث يحسوا أنه يتكلم عن خبراتهم وحاضرهم ومجتمعهم وليس مجرد حديث فى مستوى مختلف عنهم وأمور لا تهمهم. لا يكفى أن الواعظ يصور لهم المستقبل الجميل أو الحياة القادمة. إن الشعور بأنه يتحدث عن الخبرات التى تقابلهم كل يوم ويربط بينها وبين المبادئ الدينية التى يعرضها. إذا فعل ذلك يستطيع أن يصل إليهم وإلى حياتهم بدلا من أن يظنوا أنه يتحدث عن مستوى أعلى لا يخصهم أو لا يستطيعون أن يصلوا إليه. قد يعتقد البعض أنه خاطئ ولا سبيل له أن يفعل ما يقول. يجب أن يكرر أنه يعلم أنه هو نفسه وهم من الخطاة ولكن لا سبيل إلى اليأس. إننا نتألم للخطية ولكن النور والمحبة أمامنا. هناك فارق بين الألم واليأس وبين الأمل والرجاء، بين السقوط والقيامة. بين الماضى والمستقبل. هكذا يستطيع المستمع أن يحس بدافع

للعمل نحو الهدف الذى يشرحه الواعظ وأن الهدف يستحق الكفاح والعمل. إن أى شخص لا يريد أن يكون من بين الخاسرين. إن هناك فرصة ولا يريد أن يفقدها كما فقد الماضى. ليس الماضى هو النهاية بل هناك نور يضئ الطريق. إنى سوف أعطيك قلبى الذى تطلبه. يصل الواعظ إلى هذه النتيجة فقط إذا أحس كل شخص أنه يتحدث إليه شخصيا وأنه يوجه بالذات حديثه إليه. هكذا يقبل الرسالة التى جاءت إليه هو من الرب فى الوقت المناسب.

ينبغى أن يحس الشعب أن الواعظ أمين فى رسالته وأنه يعنى ما يقول. هكذا ينير الواعظ انفعالاتهم نحو الروح بدلا من الجسد ويستطيع الواعظ أن يجتذب مشاعره نحو الرب وأن يمد يده نحو المسيح.

إن المستمع يكره أن يسمع كل يوم أن مصيره جهنم حيث صرير الأسنان والآلام. دعه ينظر إلى الناحية السعيدة. دعه يحس بأنه جزء عما نتحدث عنه حتى يرغب أن يمارس الوسائل التى تتحدث عنها. فى كل مرة يستمع الشخص إلى واعظ إما أن يخرج أكثر عنادا عن ما هو أو ينظر إلى حيث الطريق الصحيح. طريق الحياة. أثناء كل عظة قوية يفكر الشخص أثناءها فى حياته الماضية والأخطاء التى صدرت عنه فى الماضى. ويستطيع الواعظ القدير أن ينقله من هذا الماضى إلى حياة أخرى. ذلك بسبب عظة مؤثرة ولا يكفى أن نقول قوية. العظة المؤثرة تتحدث عن الايمان والرجاء والمحبة بدلا من العقاب والآلام.

إن بائع سيارة لأحد العملاء لا ينبغى أن يتحدث فقط عن عظمة السيارة بل عن امكانياتها فى خدمته الشخصية. عندئذ يستطيع أن يحس أنه ليس مجرد عامل للدعاية عن نوع العربية بل عن مدى استمتاعه بها وخدمتها لحاجاته وكيف تتناسب مع رغباته. العميل يريد أن يعرف حتى العوامل غير الجوهرية مثل اللون أو الضوء أكثر من معرفته كم ألف عامل أعدوا هذه السيارة وتاريخ انتاجها إنه يشترى السيارة بعد أن يقتنع أن هذه السيارة عملت خصيصا لتقابل احتياجاته وميوله ورغباته الشخصية. إن البائع يخلق رابطة فرضية بينه وبين السيارة. هذا مثل فقط يبين كيف أن البائع يستطيع أن يقنع العميل بأن يدفع الثمن مهما كان عاليا.

الواعظ القدير يقدم هبة غالية الثمن وتستلزم كفاحا فى سبيلها.. ولكن لماذا يدفع المستمع الثمن؟ يستطيع الواعظ القدير أن يقنعه بأن يدفع الثمن بأن يغير نظام حياته كلها لكى يلتقى مع الرب.

إن الواعظ القدير يحاول أن يعقد صفقة بين المستمع وبين الرب. الواعظ يطلب من المستمع أن يبيع حياته الماضية ليشترى حياة جديدة. حياة الطهارة والنقاوة. إنه يطلب إليه أن يرمى عبر النافذة فى لحظات بكل عوامل النجاسة والخطية ليشترى نمطا جديدا من الحياة تختلف فى موضوعيتها وحقيقتها وجوهرياتها وقيادتها التى يسلمها للسيد المسيح. إنه يطلب منه أن يصبح مؤمنا بالحقيقة والسلام وأن الحقيقة واضحة كالشمس المشرقة وأن ينظر اليها بصورة مباشرة.

من بين الوعاظ المشهورين فى الولايات المتحدة نجد مارتن لوثر كينج Martin Luther King كان لهذا الواعظ جاذبية غير محدودة. سئل فى صراحة ما هى الخصائص التى ينبغى أن تتوفر فى الواعظ القدير فأجاب بعدة خصائص هامة:

ينبغى على الواعظ الناجح أن تتوفر فيه هذه الفضائل:

١ - أن يواصل دائما على الوعظ لأن كل عظة يعطيها تكسبه خبرة جديدة وقدرة أكثر على مواجهة شعبه.

٢ - أن يكون لبقا فى التعبير وبلاغة فى لغته.

٣ - يجب أن يتمتع بصوت مناسب ليكون متحدثا فى قوة

٤ - الواعظ يستلزم ذاكرة قوية داعمه ليتذكر كل ما جاء فى الكتاب المقدس وأن تكون كل آية على طرف لسانه متى يشاء.

٥ - لا ينبغى أن يتردد أثناء الالقاء أو ينظر حوله كما لو كان يبحث عن العون.

٦ - يتحدث صراحة دون أن يلتفت حوله عن من يسمعه. لا يخشى أحدا من الحاضرين فهو يعبر بما فى ضميره وما يؤمن به. لا يراعى المال أو الشهرة أو المركز يقول ما أراده السيد المسيح.

٧ - يعبر فى دقة كاملة عن ما يؤمن به وعلى أساس صحيح من الكتاب المقدس.

٨ - لا يخشى أن يتهكم عليه أحد أو ما يتطلبه أحد مستمعيه..

٩ - ينبغى أن يعرف كيف يبدأ ومتى ينتهى حديثه.

١٠ - فى مظهره يتحدث رافع الرأس وفى شجاعة وقوة دون أن يضع ورقة شجرة على فمه ودون تردد. إنه يبنى البناء الذى بدأه رب المجد.

١١ - يجب أن يتحدث دائما عن عظة جديدة وموضوع جديد وأسلوب جديد حتى لو أراد أن يعيد الموضوع الذى تحدث عنه من قبل.

١٢ - ليس معنى ذلك أنه يجرح مشاعر أى شخص فأسلوب الحديث يمكن أن يتحاشى ذلك ومع ذلك يعبر تماما عن الحقيقة ومصدر الايمان. إنه أمين فى جوهر حديثه.

١٣ - لابد أن يكون فى عظته رسالة معينة. فهو لا يتحدث عن عدة مواضيع دون رسالة تربطها.

ويقول ميكل جريفز Graves أستاذ الوعظ فى الكلية الانجيلية اللاهوتية إن من أهم ما يستطيع به الواعظ هو أن يغرس فى أسماع جمهوره أن هناك أملا زاهرا أمامهم مهما كان ماضيهم. اسمعوا للرب من كتابه فيعيش فيكم ويحيطكم بروحه. لا داعى للتخوف أو التردد بل اسمعوا له وصدقوا ما تتعلمون وامتصوه فى قلوبكم فيصبح جزءا منكم وانتم منه. أنها عملية انتقال من الماضى إلى المستقبل.

أن مهمة الواعظ أن يخلق فى ذاكرة سامعيه صلة تتردد أمامهم كحديث بين الكتاب المقدس وذاكرة الحاضرين. كرر عبارة معينة فى الانجيل فى كل عظة عدة مرات فى كل عظة

لتصبح جزءا من ذاكرته. يقول أحد الوعاظ إنه من المهم أن يزرع عبارة معينة فى كل عظة لتنمو فى داخل الحاضرين. إنها عملية زراعة عقلية وفى عمق لتنمو ولا تتلاشى مع عوامل خارجية. دعها تتجه إلى أعلى نحو الرب.

ويقول السيكولوجى تايلور إن العظة تستلزم صراعا بين الحياة والموت ولهذا ينبغى أن يكون واثقا ومؤمنا أن رسالته سوف تقوم بعملها بإنقاذه من الموت إلى الحياة الابدية. ليست هذه مهمة بسيطة أو رخيصة وليست مجرد بيع وشراء ولكنها صراع حيوى إما أن ينجح الواعظ او هو الموت لرعيته. أن العظة لاهوت لامع يستلزم الشجاعة والاستماتة فى أنقاذ شعبه. بعد أنتهاء عظته سوف يترك الشعب لأنفسهم ليواجهوا ما قاله أثناء نومهم ويقظتهم.

ويقول السيكولوجى فلورنس إن العظة هى ايداع سلاح فى يد كل مستمع له.. إما أن يقتل الخطية او أن يقتل نفسه. أما أن يعيش للرب أو يبقى مع الشيطان. إما أن يتمجد ويتعظم مع الرب أو أن يظل فى الظلام. إن العظة ليست مجرد تفسير عبارة فى الإنجيل بل أن يغوص المستمع فى باطنها ومعناها أو أن يظل صنما جالسا لا يحس.

وقال الواعظ القدير "حافظ داود" أبونا مرقس داود .. قبل أن أعطى عظة أذهب إلى حجرتى وأصلى أن يعيننى الرب أن أقول ما يريدنى أن أقول. أنى أعلم أنى بمجرد أن أبدأ العظة فإن الله حاضر معى ويسمع كل كلمة أقولها.. إنى أرتعب أحيانا لأنى فى وجود الرب ولكننى أعلم أنه يعيننى.

وقال الواعظ القدير المرحوم أرشديكون عياد عياد.. ما أجمل أن أحس دائما أنى عندما ألقى عظتى أن الله يلهمنى ما أقول. إنى أردد ما أحس فى داخلى بما اقول. الرب حاضر معى وأنا أطيعه وأنقل ما يريدنى أن أقول. لا أعتقد أن الشعب يعرف أو يحس بذلك. إنى أحس أن الله الكلمة معى فى ذهنى.

ويقول فريديك جريكو Greco هناك كثيرون يعتقدون أن يلقوا عظات ولكن رغم ذلك يلزمهم النجاح أن يكون لديهم القلب الذى هو حقيقة الدين. إن الروح الحقيقى الكامن فى القلب هو منبع النجاح فى العظة. يجب أن يتحدث الواعظ من قلبه وليس من ألفاظ وحروف أعدها دون عمق فى معناها. إذا لم يكن القلب حيا مع الرب ويعيش المسيح فيه فالعظة ميتة فى ذاتها. إن أهم شروط الواعظ الحقيقى أن يكون حيا فى مسيحيته وأما إذا كان القلب ميتا فليس هناك روح ويصبح الانسان بعيدا عن الرب.

كان أحد آباء الكنيسة "أبونا بولس باسيلى" أستاذ الوعظ فى الاكليريكية بالقاهرة. كانت قدرة أبونا باسيلي في الوعظ الديني والخطابة السياسية رائعة بمعنى الكلمة حتى أنه كان الوحيد في التاريخ الذي انتخب من المسلمين والأقباط عضوا في البرلمان المصري رغم كهنوته. قال في إحدى محاضراته عندما تعظ لا تفكر فى نفسك.. فكر فيما يلهمك الرب وتحدث إلى شعب جاء ليسمع كلمة الرب. تحرر من نفسك وكن فقط متحدثا عن الرب. إنك على منصة الرب لتفسر كلام الرب. تركز فى أن تنقل حقيقة الكتاب المقدس

بطريقة مؤثرة جذابة تستطيع أن تكسب بها الشعب الذى أمامك للرب. إنك الآن أمام البوتقة الساخنة التى تعد بها غذاء الروح. ورسالة الحياة.

وقال صاحب القداسة الانبا شنودة الثالث.. إنك الآن تنقل رسالة محبة الله.. كن أمينا فى نقل شعور المحبة إلى رعية الرب. إن الشيطان يحوم حولك كأسد زائر ليبطل كل ما تؤدى من رسالة.. تحدى الشيطان وكن أمينا مع الله.

من كل ما سبق يتبين أن هناك شروطا هامة فى الواعظ القدير يرتبط بعضها بالموضوع ويتعلق الشق الآخر على وسيلة الالقاء وشخصية الواعظ.

من ناحية الموضوع يجب أن يكون المتحدث ملما إلماما كاملا بالموضوع الذى يتحدث عنه أكثر من المستمعين وأنه يأتى فى عظته بمعلومات جديدة.. ليس هو صورة أخرى من وعاظ آخرين يكرر ما يقولون.. يجب أن يتداول فى ذهنه أن المستمعين بعد خروجهم من العظة يناقشون ما هو الجديد فى العظة وهل لمس مواضيع أو نواحي لم نعرفها من قبل. من هذا يجب أن يكون الواعظ باحثا ممتازا وقارئا فى عمق وتحليل ويستطيع أن يقدم ما تعلمه بأسلوب جديد حتى يستطيع أن يتملك انتباههم. فى سبيل ذلك يمكنه أن يبدأ العظة بتساؤل عن موضوع لا يعرفه الكثيرون وأن يكون هذا التساؤل موجها منه وإلى نفسه حتى لا يكون هناك أى احراج للحاضرين.. الهدف هو أن يجتذب انتباههم من اللحظة الأولى فى العظة وبعد ذلك يسهل عليه أن يواصل المحافظة على سماعهم وانتباههم بأن يواصل الشرح بأسلوب خلاب. مثال

ذلك ما فعله مارتن لوثر كنج فى عظته الخالدة.. إن لدى حلما.. إنى حلمت .. I have a dream. لا أحد من الشعب يعلم ما هو ذلك الحلم.. ولماذا يتحدث عنه أمام ثمانين ألف مستمع فى واشنطن. هل أتى مع الآلاف فى كل أنحاء الولايات المتحدة إلى العاصمة ليتحدث عن شئ يعرفونه. أو عن شئ ليس له قيمة. ظلت كلماته تدوى فى آذان الشعب الافريقى الأصل وأمريكى الجنسية حتى اليوم وإلى سنوات طويلة قادمة.

وعندما نجح الرئيس أوباما كرئيس للولايات المتحدة قال مباشرة لقد تحقق الحلم ونحن نستطيع أن نحقق تفصيلات "نعم نستطيع yes we can" كرر الشعب هذه العبارة فى كل مناسبة. نعم نستطيع .. عظة واحدة غيرت وجه التاريخ.

والآن لنتساءل كيف استطاع كبار الوعاظ والخطباء من أن يستفيدوا أو يطبقوا الدراسات السيكولوجية؟

وصلت هذه الدراسات إلى أن أهم عوامل نجاح الواعظ هو أن يطبق أهم نتيجة وصلت إليها تلك الدراسات وهى "قانون التغيير".

"كل تغيير يجذب الانتباه"

لتوضح هذا القانون السيكولوجي لنتخيل أنك جالس تقرأ كتابا فى هدوء الليل ثم وجدت الرياح تفتح الشباك .. تنظر إليه أو إذا حدث صوت فى الثلاجة تنظر إليها. أو صوت من الشارع قد تذهب لترى ما حدث، وإذا تحركت القطة أو الكلب فجأة تنظر إليه أو سقط شئ من مكانه تنظر إليه.

إنها طبيعة حب الاستطلاع الكامنة فينا.. نستطلع كل ما هو غريب.. كل تغيير يحدث يلفت الانتباه.

هناك وسائل هامة لتحقيق التغيير فى العظة لتجذب الانتباه باستمرار:

أ- التغير فى الصوت

١ - التغيير فى الصوت وارتفاعه أو أنخفاضه.. قد يعلو الصوت فجأة ثم ينخفض فجأة ثم يعود إلى الارتفاع حسب الجملة.

٢ - تغيير فى سرعة الصوت. يتحدث أحيانا بسرعة ثم فى بطء وهدوء ويعود إلى السرعة.

٣ - الحديث ثم التوقف لحظة فى تساؤل ثم البدء دون توقف طويل.

٤ - تكرار كلمة أو جملة معينة ومثال ذلك الجملة التى استخدمها الرئيس أوباما أثناء الانتخابات "نعم نستطيع yes we can" وبذلك يشرك الجمهور فى تكرار هذه الجملة أو على الأقل ترسخ فى ذاكرتهم وتزيد انتباههم. "المسيح يحبك" أو "لا تخاف الموت". " ممن أخاف" الخ.

ب- التغيير فى حركة اليد

أحيانا يشير بيده نحو الجمهور مستخدما السبابه.. أو يفتح ذراعيه وكأنه يضم الجمهور إلى صدره. أو يرفع يده

نحو السماء كأنه يستجدى عطف الله ومحبته أو أن الرب كل القدرة الخ. أو يحدث نقرة بسيطة على المنصة ألخ.

ج - التغيير فى الموضع الواقف فيه..

يتلفت يمنه ويسرى أو يخطو خطوة أو اثنين نحو اليمين أو اليسار. وقد يلتفت نحو الشعب فى جهة ثم يلتفت إلى جهة أخرى.

د - أن يحدث مفاجأة فى الموضوع

مثل أسلوب مارتن لوثر كينج: أن لدى حلما.. أنى أحلم حلما I have a dream.

- أن يستخدم الكتاب المقدس أمامه برفعه إلى فوق أو وضع يده عليه ليؤكد عبارة معينة فيه أو صحة ما يقول .. الخ..

ليس معنى ذلك أن الواعظ يبالغ فى حركاته ولكن أن تكون كل حركة بالاسلوب المناسب وفى الوقت المناسب مستخدما القانون السيكولوجى "كل تغيير يلفت الانتباه.

أما إذا كان الواعظ يتحدث بصوت واحد أو سرعة واحدة أو ثابتا فى مكانه دون أى حركة فقد يصبح مملا أو مدعاة لبعض الحضور إلى النوم.

ومن أهم ما يلفت النظر هو أن يتعمد الواعظ أن يحدث مفاجأة فى حديثه بأن يضفى معلومات جديدة تختلف إلى حد ما عن المعلومات السابقة أو أن يعطى مثالا جديدا لم يذكر من بعض ومرتبط بحياة المستمعين أو يستدعى تفكيرهم فى

المقصود من هذا المثال كما كان يفعل السيد المسيح.. كان دائما يتحدى تفكير الجمهور بأمثال معينة ترتبط بالحاضر ولكنها تشير إلى ملكوت السموات.. ولهذا كانت الأمثال لا تخلو من التحدى الفكرى. كان له المجد يملك انتباههم دائما فى قبضة يده كما بينا فى كتاب عظة الجبل. إنها مثال حى للعظة القوية مما يجعلها عظة الأجيال. كانت كل جملة فيها ترتبط بموضوع جديد فى حياتهم. كان السيد المسيح يعطى عظاته بصورة تمثل النجاح الباهر للواعظ القدير على ابلاغ رسالته حتى كان الشعب يبقى معه أياما دون طعام وكما نعلم كان الرب الكلمة يتراءف عليهم فيعطيهم الغذاء. كان افتتاح عظة الجبل بالطوبويات تلمس كل منها ناحية جديدة من أنماط حياة الشعب ولهذا بقى كل واحد من الشعب يتعلق ببصرة إلى يدى رب المجد يسوع المسيح ماذا يكون مصير هؤلاء. وأن يعلم اكثر عن الحياة الباقية للعالم وكيف نصل إليها فى سلام. إنها حياة جديدة يتحدث عنها أنها ترتبط بتغيير شامل لنظام حياتهم كان ينقلهم من حياة تافهة زائلة إلى حياة باقية خالدة.

الفصل الثالث

الشباب والكنيسة

لعل من أخطر مراحل النمو للانسان هى مرحلة الشباب. فى هذه المرحلة تحدث عدة تغييرات انفعالية فى الشخصية وإذا لم تقابلها الكنيسة أو الآباء بفهم خاص واستجابة مناسبة يؤدى ذلك إلى انحرافات جناحية قد تستمر مدى الحياة. من الطبيعى أن تحليل هذه التغييرات تستلزم أن ننظر إلى شخصية الشاب على أساس النظرية التكاملية فى السيكولوجيا وهى أن ننظر إلى كل تغيير فى الشخصية من النواحى الفيزيوجية والنفسية والاجتماعية.كل تغيرات في شخصية الشباب في هذه المرحلة يصاحبه تغيرات فيزيولوجية ويتوقف على عوامل اجتماعية وتطورات سيكولوجية.

لسنا هنا بصدد التحليل الفيزيولوجى سواء فى الغدد أو النمو فى العضلات أو المخ أو الأعضاء الجسدية الأخرى. مثل هذه الناحية تستلزم دراسة لجميع التطورات فى التكوين الانسانى مما لا سبيل له فى هذا الكتاب. ولكننا نستطيع أن ننظر إلى جميع التغيرات السيكولوجيه والاجتماعية التى تصاحب التغيرات الفيزيولوجية من حيث الزمن والنمو والتطور.

إن العوامل الاجتماعية مثل ما يحدث فى الكنيسة والمدرسة والمنزل والعلاقات الاجتماعية مع الأمثال من الشباب لها أهمية كاملة ولا يمكن تجاهلها بأى حال. إن كلمة واحدة غير محسوبة تماما تصدر من الكاهن أو الأباء أو المدرسين أو الزملاء قد يكون لها تأثير فى حياة الشخص كلها. هذا يفسر لنا كيف أن الطفلين التوأمين قد نجد فى سلوكهما تصرفات متباينة لأنه لا يمكن أن ينال الطفلان نفس الاستجابة فى جميع النواحى الاجتماعية. إن مجرى الحياة الاجتماعية تشبه مجرى مائى تتقلب فيه الذرات المائية بكل محتوياتها ومكنوناتها فى كل جزء من الثانية. وهذا يفسر كيف أن كل ما يقابل الشاب في هذا المجرى الاجتماعى سوف يؤدى إلى مزيج جديد من العوامل الانفعالية.

أنك لو عملت مقطعا فى المجرى المائي فى أى لحظة ثم حاولت بعد لحظات أن تعمل مقطعا مماثلا نجد أنه ليس هناك أى تماثل إطلاقا بين المقطعين من حيث التكوين أو النظام أو ترتيب الذرات. لهذا تؤكد الفطرية التكاملية فى السيكولوجيا أن الخبرات التى تقابل كل شخص فى كل لحظة في حياته هى خبرات متباينة ولا يمكن التنبؤ تماما كيف ستكون استجابة الشخص لأى موقف أو كلمة يسمعها. الشباب يعيش فى دوامة متواصلة فى ردود الأفعال فى أى موقف وتتوقف هذه على العوامل الاجتماعية المحيطة.

قد يكون الطفل أحد مكونات أسرة فى غاية التدين ولكن هناك عوامل سيكولوجية واجتماعية أخرى تقابله فى المدرسة أو مع الشباب الذين يجتمعون معه فى الملاعب أو الكنيسة

أو فى اركان الشارع المجاور للمنزل. المسألة تحتاج إلى حرص متزايد فى غير حرمان من الحياة الطبيعية. رغم كل هذه الامكانيات المتطورة ينبغى أن يرى أمامه شعور بالثقة والأمل والنجاح حتى يعيش فى توازن نفسى واجتماعى. لا بد من وجود قيادة حكيمة ليعبر مرحلة الشباب كما يعبر نهرا متقلبا فى أمواجه ودون خلق مشكلات معقدة أمامه.

دع الشاب يعيش طبيعيا فى شباب وليس فى كهولة متقدمة قبل أوانها. دعه يتمتع بقدراته النشاطية ولكن بتوجيه النشاط إلى حيث ينبغى أن يكون. دعه يمر فى مرحلة الابتكار والنشاط الفكرى.. مرحلة اثبات الذات كشخصية مستقلة وليس فرعا فى شجرة كبيرة السن. أعطه فرصة أن يستمر متمسكا بذيل الأم والأب ولكن يستطيع أن يعبر عن رأيه الشخصى دون إملاء. إنه محتاج أن يحس باستقلال ولكنه يحتاج إلى توجيه. أنه محتاج أن يكون له أصدقاء ولكن أى أصدقاء. إنه محتاج أن يسمع توجيهات كريمة ولطيفة للقبم ولكن دون أن يحس بالتحدى. إنه محتاج أن يكون عضوا فى الأسرة ولكن أن يكون له فى نفس الوقت عالمه الخاص. إنه محتاج أن يحس بأهميته الخاصة ولكن الطريق القويم. أنه محتاج أن تكون له قيمة فى مجتمعه وأنه موضع الثقة القيادية. ينبغى أن يحس أن حياة الشباب لها حريتها إلى حد ما ومبنية على الماضى ولها صلة بآمال المستقبل.. آمال الأسرة وآمال الكنيسة وآماله الشخصية ترتبط بالمثل العليا التي يكتسبها. إنه يحس بنجاح حقيقى إذا كان له احساس بأنه يؤدى مساعدات للأسرة والكنيسة والمجتمع وأنه يستخدم

نشاطه فى الوقت نفسه فى إثبات ذاتــه. أن لــه كيــان مــستقل ولكن في تعاون ومحبة.

والآن كيف تــستطيع الكنيــسة أن تجتــذب الــشباب إلى الكنيسة. وأن تحتفظ الكنيسة بهم فى حظيرتها. هذا الموضوع كان دائما موضع البحث من علماء الدين والسيكولوجيا معا.. ترى الكنيسة القبطية أن الهدف الاساسى هو الخــلاص. وإذن فالعمل الجوهرى ينبغــى أن يكــون فى الكنيــسة وللكنيــسة. ولكن فى الوقت نفسه يمكن أن يكون هناك اعتبار الانفعــالات الشبابية والصلات الاجتماعية فى المجتمع والمدرســة والأنديــة والشوارع. كل هذه تلعب دورا لا يمكن انكار أثــره القــوى فى تكوين شخصية الــشباب. وإذن لابــد وأن تتــوخى الكنيــسة وسائل لايجاد توازن قوى بين جميع هذه الــدوافع والعوامــل حتى لا يفر الشباب من الكنيسة إلى جهات أخرى تكــون لهــا جاذبية تتناسب مع ميول الشباب. لهذا يعتقد علمــاء الــنفس الدينى وعلى الأخص الذين لهم خبرة مع الشباب القبطــى إلى أنه بالرغم مــن أن للــدين جاذبيــة جبــارة يحــسن مراعــاة التأثيرات الاجتماعية وتوجيهها لخدمة الكنيسة وتتواكب مــع مشيئة الروح القدس. وفى هذا ينبغي أن نــسير مــع الثقافــة المسيحية التي ترضى الرب أولا وأخيرا وأن تــستفيد في الوقــت نفسه من العوامل الاجتماعية لخدمة الرب.

١ - العامل الأول والأهم هو عامل دينى وروحى صرف وهــو أن يصبح الشاب شماســا فى خدمــة الكنيــسة. بالاضــافة إلى الناحية الروحية التى لهــا الاعتبــار الأول مــن غــير شــك أن الشماس يحس سيكولوجيا أنه أصــبح لــه أهميــة خاصــة فى

الكنيسة. أصبح له مسئولية هامة تتبين على الأقل فى مظهره والبرنس الذى يلبسه وعليه رشم الصليب. إنه من القليلين فى الكنيسة الذين يسمح لهم الكاهن بأن يلبس البرنس بصلاة خاصة. إنه يحس بالفخر أن يكون له هذا الامتياز، وأن يكون فى الأمام فى صفوف الشمامسة. إنه يجلس أمام الشعب وقريبا من الهيكل ويتناول ومن الافخارستيا قبل الشعب ويستطيع أن يكون واقفا أمام الهيكل. تخيل شعوره وفخره الذى لا يتحدث عنه إلا فى داخله أنه شماس يقف أمام الهيكل ويتناول الجسد والدم قبل الشعب وأكثر من مرة واحدة. يستطيع الكاهن أن يتحدث إليه مباشرة وأن يطلب إليه أن يؤدى خدمات معينة أمام الهيكل. والأهم من هذا كله قد يكون هو الذى يطلب إلى الشعب فى لحظة معينة أن يقفوا بدلا من الجلوس. إنه يعطى رسالة تمثل أمر الكنيسة للأراخنة والشعب كله بما فيهم والداه أن يقفوا بدلا من الجلوس. وربما أن يردد هو كشماس للهيكل جزءا هاما من قانون الايمان القبطي الأرثوذكسى "أؤمن أؤمن أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته ولا لحظة واحدة ولا طرفة عين". إنى أعجب كيف أن القديس أثناسيوس عندما قرر إضافة قانون الايمان إلى القداس الالهى لم يكتف بأن يقوله الكاهن بل أن يشترك الشعب ممثلا فى شماس الهيكل أن يكرر قاعدة الايمان "أؤمن أؤمن أؤمن" ثلاث مرات ويكملها شماس الهيكل. بل وأن يطلب أيضا أن يتاح للشماس أن يطلب إلى الشعب جميعا أن يصلوا حتى يستحق المتناولون من الجسد والدم أن يتناولوا منه. إنها قوة سيكولوجية عظيمة التى منحت لشماس الهيكل أن ينهى بهذه العبارات خدمة القداس "صلوا لكى يكون

التناول، باستحقاق".. وبعد ذلك يكون من أوائل من يتناولوا من يد الكاهن الطاهرة هذا الجسد الكريم ودم السيد المسيح المقدس. لا شك أن الشماس سوف يخشى دائما أن يرتكب خطيئة حتى لا يحرم من هذا الشرف العظيم. إنه يشترك فى خدمة القداس حنبا إلى حنب مع الآب الكاهن ملاك الكنيسة.

والآن ننتقل إلى بعض وسائل اجتذاب النشاط الاجتماعى الأخرى. وليس معنى ذلك أن كل كنيسة قبطية يجب أن تقوم بكل هذه الوسائل فلكل كنيسة ظروفها الخاصة وشعبها الذى له امكانيات معينة.

٢ - الكنيسة القبطية الآن تختلف تماما عن العصور السابقة التى كانت الكنيسة فيها منحصرة فى داخل حدود مصر. فى أواخر عهد قداسة الأنبا كيرلس السادس ومنذ أوائل عهد صاحب الغبطة الأنبا شنودة الثالث تغير تاريخ الكنيسة وتغيرت مواقعها إذ امتدت تقريبا فى وجودها إلى كل ناحية من نواحى العالم. أصبحت موجودة فى جميع القارات والدول. هناك اكثر من مائة وخمسين كنيسة فى أمريكا الشمالية وكنائس فى دول أوروبية كثيرة وفى أستراليا وافريقيا وآسيا. ما أجمل هذا التوسع الشامل الذى جعل من الكنيسة القبطية كنيسة دولية شاملة جامعة رسولية تتردد اصداء قداساتها حول العالم وتخدم بلغات كثيرة مثل الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والأمهرية واللغات الآسيوية وفى أمريكا الجنوبية باللغات الاسبانية والبرتغالية ومع تطور الزمان سوف يصبح لكل من هذه الكنائس وجودها اللغوى التى لا يربطها إلا اللغة القبطية.

هل فكرت الكنائس المختلفة حول العالم فى دعم تدريس اللغة القبطية حتى تعود إلى دورها الحاسم كرباط بين الشعوب القبطية. كانت اللغة القبطية لقرون طويلة هى لغة الأدب الرفيع ولغة التواصل بين اقباط مصر جميعا.. أرجو أن يتحقق ذلك فى عهد قريب.

٣ – أقترح أن تكون كل كنيسة جماعة من شبابها للمراسلات الدولية والوطنية. لابد وأن تعمل كل كنيسة على دوام الاتصال بين الشعوب القبطية فى استراليا وأمريكا والدول الأوربية والافريقية والاسيوية. إن لهذه المراسلات أهمية بالغة فى نفسية الشباب. بل وفى بعض الكنائس الأخرى فى أدت إلى عوامل تزواج كنسى بين الشباب وتكوين اسر جديدة. ولكن ليس هذا هو الهدف الذى من أجله أقدم هذا الاقتراح بل من أجل الاتصالات الروحية والصداقة الدولية بين ابناء الكنيسة الواحدة. تخيل شابا فى المدرسة الثانوية يتلقى خطابا من زميل أو زميلة من ألمانيا أو إيطاليا أو جنوب أفريقيا أو الكنائس المصرية فى مصر أو الأردن أو فلسطين أو الهند أو الحبشة أو اليابان .. الخ. سوف يكون سعيدا بأن يجعل جميع أصدقائه يشاهدون هذه المراسلات التى تؤكد معرفة أبناء كل كنيسة سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية.

٤ – خدمة الشباب لزيادة للدخل الكنسي. لمثل هذه الجماعة أهمية خاصة لأنه إن زاد دخل الكنيسة تستطيع أن تقدم خدمات أوسع وأكبر. هناك وسائل كثيرة لعمل شباب هذه الجماعة مثل بيع علب البسكويت أو الكحك أو بيع كتب

أو مشغولات يدوية مثل مفارش أو كوفيـات أو جوانيتـات أو ملابس للشمامسة الخ الخ..

على سبيل المثال كونت احـدى الكنـائس البروتـستانتية جماعة سموها ABC للدخل الكنسى. هـل تتخيـل بوسـائلها المختلفة الآن أن متوسط دخلها السنوى ثلاثـة ملايـين دولار. ذلك أنها استطاعت أن تخلق تعاونا بين شباب عدد كبير مـن الكنائس المختلفة فى كل أنحاء الولايات المتحدة وكنـدا. يمكـن لشبابنا القبطى أن يتعـاون كـذلك وأن يـوزع الايـراد عـلى الكنائس المحتاجة حديثـة الوجـود وبنـاء كنـائس ومراكـز للنشاط الكنسى.

ولما كان القانون الامريكي لا يسمح بأعطـاء مـساعدات حكومية لأى جمعية تنتمى لكنيسة معينة تجاهل بعض هذه الجمعيات عمدا أنهم ينتموا إلى كنائس وأطلقوا على أنفـسهم أسماء مشروعات عامة مثل مشروع الغرباء أو مشروع الطلبة المحتاجين أو مشروع ثقافى معين أو مشروع للمرضى مـن أى نوع وأن يسجلوا أسماءهم بهذا الشكل حتـى يحـق لهـم أن ينالوا مساعدات حكومية ضخمة كل عام.

٥ - ويمكن تأسيس جماعة أخرى لـشباب الكنيـسة يطلـق عليها "جماعة التمثيل الدينى وانتاج روايات بالفيديو" لهـذه الجماعة أيضا أثره سيكولوجي كبيرا فى تكوين الشباب. تخيل شابا مغمورا ليس له أى سبيل لاثبات ذاتيته عندما يقف أمام الجمهور ويتحدث فى رصانة لتمثيل شخصية دينية مثلا. أنها وسيلة لاثبات الذات ودعمها سـيكولوجيا بالاضـافة إلى أنهـا تكون خدمة كنسية لنشر رسالة معينة مثل ''الابـن الـضال''

أو أحد القديسين أو رسالة معينة لمساعدة الفقراء أو محاربة بعض العادات الاجتماعية التى تتعارض مع الكنيسة الخ.. لقد كان لتمثيلية يوسف وهبى لرواية "سر الاعتراف" أثرا كبيرا جدا على جمهور المشاهدين.

٦ - لجنة الشباب لمساعدة الغرباء والمرضى.. من أعظم هذه اللجان فى الولايات المتحدة الجميعة المصرية الأمريكية المسيحية (Egyptian American ChristianAssociation (ESCA)) التى أسسها الأرخن الدكتور منقريوس بهمان منذ خمسين سنة مضت تقريبا. وفى يوم ما قرر مجلس الإدارة من الشيوخ أن يتنازلوا عن مناصبهم جميعا وأن يعطوا هذه المناصب للشباب اللامع فى الكنائس القبطية المختلفة. زاد نجاح هذه الجماعة منذ تولاها الشباب حتى أنه فى حفل واحد لجمع تبرعات بلغت التبرعات عشرات الآلاف من الدولارات فى ليلة واحدة. لا أشك فى أن شباب أى كنيسة مع العزم الوطيد أن يقوموا بهذا العمل الذى أصبح موضع الفخر. إنهم يساهمون بأيراداتهم لمساعدة مشروعات عديدة فى عدد كبير من محافظات مصر. إنها مشروعات فى غاية الأهمية وتحتاج لها أقباط مصر. إن هذه المؤسسة الدينية تعتبر مثالا يقتدى لنشاط الشباب فى خدمة الكنيسة.

٧ - الرياضة البدنية

يسعدنى أن أقرأ فى كتاب الدكتور الهامى خليل "صنع أسقفية The Making of a Diocese" كل الأنباء الرائعة التى تقوم بها كنائس كاليفورنيا فى نواحى شبابية كثيرة تحت اشراف صاحب النيافة الحبر الجليل أنبا سرابيون. ومن

بين هذه الجهود التى تقوم بها بعض الكنائس "الرياضة البدنية للشباب" مثل فرقة كرة القدم أو فرقة كرة السلة.

قد يظن البعض أن هذه الجهود بعيدة عن الناحية الروحية. من أجل الحقيقة أقول إنها وأن بدت بعيدة فى الشكل إلا أنها متصلة اتصالا مباشرا بالعمل الكنسى لجذب الشباب إلى الكنيسة. أليس من الأفضل أن يكونوا فى بؤرة شريفة ويقومون بالصلاة قبل المباريات من أن يكونوا فى بؤرة غير مرغوب فيها. هناك امكانيات غير محدودة لجذب الشباب بعيدة عن الدين. لو لم تكن هذه الفرق موجودة وتشغل بعض وقتهم كان يمكن أن يتجه هؤلاء الشباب إلى بؤر الفساد والمخدرات والنجاسة والانحرافات الجانحة. أنواع الرياضة البدنية تفيد الناحية الصحية والجسدية للشباب ولكنها جزء من الجهود للمحافظة عليهم معا تحت اشراف الكنيسة.

إنى أذكر جيدا اكثر من ستين سنة مضت أن الآب المرحوم إبراهيم لوقا أنشأ فى مبنى الكنيسة فى مصر الجديدة حجرة خاصة أسماها "نادى الشباب". كان هذا النادى يقوم بنشاطات خاصة فى دعوة الوعاظ لإقامة أسبوع نهضة روحية ومباريات رياضية وملتقى للشباب تحت اشراف الكهنة بل وكان مصدر للقاء الشباب بطريقة سمحت لتكوين اسر كثيرة واتمام الزواج المقدس. من هذا يتبين أن أندية الشباب الرياضية والاجتماعية ليست بذاتها بعيدة عن الكنيسة بل وسيلة لوضع الشباب تحت جناح الكنيسة باشراف مباشر.

وأذكر أن جمعية أصدقاء الكتاب المقدس فى بنى سويف فى أول مبنى صغير لها خصصت حجرة للعب تنس الطاولة

"بنج بونج" وكان الشباب يحضر ليتمتع بهذه الرياضة ثم يحضر العظات التى يلقيها واعظ الجميعة ويشتركون فى التراتيل والألحان. وبعد أن كبرت جمعية أصدقاء الكتاب حددت مساحة فى داخل المبنى كملعب لكرة السلة. وكنت تشاهد مباريات متعددة بين الشباب القبطى أعضاء الجمعية مع شباب من مؤسسات مختلفة مما جعل الشباب القبطى دائم التمسك بالحضور للتدريب بدلا من الذهاب إلى أماكن الخطية. وبعد المباريات يحضر العظات الدينية. الشباب القبطى هناك متحمس لأن ينتصر باسم الكنيسة على أى شباب آخر.

٨ - جمعية الشباب للفنون الكنسية.. وهذه أيضا وسيلة مقبولة جدا لتكوين وحدة الشباب للفنون الكنسية وعلى الأخص لتعليم الشباب كيف ينتجون أيقونات جميلة للكنيسة ولتعلق فى المنازل المسيحية. يمكن أن تكون أيضا مصدرا للايراد الكنيسة بأن تبيع الأيقونات الجميلة للقديسيين فى مزادات خاصة ويذهب الايراد للكنيسة. سوف يتجمع الشباب فى أوقات معينة. يفترض أنها أوقات الراحة الاسبوعية غير أوقات الخدمة الكنسية ويخصص لهم معلم متخصص لفن الرسم وتهيأ لهم جميع الأدوات والمواد اللازمة لمجرد أنهم يحضرون للتعليم والانتاج الفنى ويساعدهم المرشد الفنى المختص فى اصلاح أى شئ يلزمه الاصلاح حتى تصبح أيقونة أو صورة من الصور الرائعة التى يمكن أستخدامها فى حجر الكنيسة ذاتها وتحمل اسم الشاب الذى انتجها. إنها تضفى جمالا للموقع وإشباعا لذاتية الشاب. فى معارض خاصة

تقيمها الكنيسة يقف كل شاب بجانب الصور التى انتجها أمام المتفرجين ويشرح فكرته التى حققها فى الصورة. وفى الوقت نفسه يمكن أن تكون هذه المعارض مصدرا لسعادة أسرة الشاب ومصدرا للدخل الكنيسة.

٩ - جمعية الشباب للفنون الموسيقية

هذه الجميعة أيضا وسيلة ناجحة جدا فى بعض الكنائس. بالموسيقى ليست بعيدة عن الكنيسة.. ألم يكن داود النبى يطلق عليه المرنم. كان موسيقارا وفنانا يغنى المزامير الخالدة التى تنادى على الرب وترنم باسمه ولها قيمة فى غاية الأهمية فى الكنيسة. ألسنا نغنى ونرنم عند قراءة الإنجيل المقدس.

يمكن أن تكون هذه الجمعية الشبابية للفنون الموسيقية هى أساس فرقة الترانيم والألحان الموسيقية. وأن تكون أساس تجمع الشبان والفتيات تحت أشراف الكنيسة ليعيشوا فى حلقات دينية طابعها هو الموسيقى ويمكن أن تمثل الموسيقى القبطية فى مناسبات خاصة فى نفس الكنيسة او كنائس اخرى.

١٠ - جماعة الشباب للتدبير المنزلي

وهذه عادة تكون من بعض الفتيات وامهاتهن لاعداد وتقديم طعام للمشتركين فى الصلاة بعد الخدمة بعض الأسر تأتى للكنيسة من مسافات بعيدة ومعهم اطفالهم. وليس هناك سبيل لتجاهل هذه الخدمة.. نود أن نناقش هناك إذا كانت هذه الجماعة تتقاضى شيئا مقابل ما يقدمون من طعام

فإذا كانت هناك ايرادات تسمح بتقديمها مجانا فليكن ذلك وأما إذا تعسر ذلك يمكن تقاضى شئ بسيط لتغطية التكاليف واستمرار الخدمة. إن تجمع الشعب بعد الخدمة لتناول لقمة اغابى له عدة فوائد منها التعارف والتعاون وتبادل الأحاديث الروحية بين أفراد الجالية. وتماسك الجالية وأن يعرف كل منهم شيئا عن الآخرين إنها وسيلة لمن يحتاج شيئا أن يلجأ لمن يستطيع أن يقدمها. هذا يحتاج إلى وظيفة وذاك يحتاج إلى موظف وبهذا تملأ هذه الاجتماعات احتياجات الكثيرين بين من يريد أن يعطى ومن يريد أن يأخذ. بالاضافة إلى ذلك فهى فرصة مناسبة لتبادل عبارات المحبة والاشواق والأخوية.

لا يمكن تشبيه عمل جماعة التدبير المنزلى عندما يقدمون الطعام للأسر بعد الخدمة بما كان يفعله العشارون الذين طردهم السيد المسيح من المعبد. كان العشارون لصوصا قانونيون يجمعون الضرائب ويضيفون إليها ما يريدون.. فهم كانوا فعلا يجعلون من المعبد منازل لصوص.. وأما الآن فالوضع مختلف. إنهم يقدمون خدمات للأسر وأطفالهم وإذا لم تؤدى لهم هذه الخدمة سوف يضطرون إلى الذهاب إلى مطعم ويدفعون الأضعاف أو أن يتوقفوا تماما عن المجئ لأن أطفالهم تجوع. إنها خدمة يحتاج إليها الشعب حتى لو دفعوا ثمن ما يأكلون.

١١ - جمعية الشباب لتقديم خدمات النظافة والترتيب اللازم فى الكنيسة ومظهرها فى الداخل والخارج. هناك مثلا حشائش فى خارج الكنيسة أو حديقة تحتاج إلى عمل شبابى أو نظافة دورات المياه أو المقاعد الخ.

من يقوم بهذه الخدمات هل من المعقول أن تؤجر الكنيسة مختصا للنظافة والترتيب فى حين أن ابناءها من الشباب يجلسون ويتفرجون. لدى كل فرد فى الكنيسة واجبات بحسب قدراته ليقوم بها فى خدمة بيت الرب. ثم هناك مناسبات خاصة للأفراح والأعياد والجنازات الخ وهى تحتاد احيانا إلى ترتيبات خاصة للستائر والمقاعد وغير ذلك. لا ينبغى أن يلقى كل ذلك على كاهل الكاهن فى حين أن هناك شباب ليتعاونوا فى هذا العمل. إن الشباب ينتمى للكنيسة وأعتقد أن الكثيرين منهم يحسون بسعادة أن يشتركوا فى هذه النشاطات البنائية كالبويات او الزراعية أو النظافة إنهم يؤدون خدمة لبيت الرب.

١٢ - جماعة الشباب لنشاط المكتبة الكنسية أعتقد أن كل كنيسة يجب أن يكون فيها نوعان من المكتبات.. إحداهما للاستعارة للكتب التى تعتبر مراجع ولا يوجد من كل منها سوى نسخة أو اثنين. هذه المكتبة تساعد على الاطلاع وإعداد المحاضرات والقراءات المختلفة. والمكتبة الأخرى لتشمل الكتب التى يريد الشعب أن يشترى منها والاحتفاظ بها فى منازلهم.

١٣ - جماعة الشباب لمتابعة الحضور الكنسى. من المهم جدا أن تكون هناك جماعة من الشباب لمتابعة الحاضرين فى الخدمة الكنسية والقداسات. فإذا تغيب أحد من الشعب أكثر من مرة يمكن لهذه اللجنة أن تبلغ الكاهن أو جماعة الزيارات للألمام بحالته فقد يكون مريضا أو محتاجا لمساعدة من نوع ما.

١٤ - مشروعات الطفولة المبكرة Babies

عندما يرزق الله أسرة بانجاب طفل حديثا تواجه بعض الصعوبات اللازمة للعناية بالطفل من سن الميلاد إلى سن ثلاث سنوات. وقد تمنع هذه الصعوبات الأسرة من الذهاب إلى الكنيسة حتى لا يكون السبب فى بكائه مانعا من سماع الشعب للخدمة الكنسية أو العظات.

لهذا تنشئ بعض الكنائس إذا سمحت مبانيها بتخصيص حجرة لهؤلاء الأطفال وبها ما لا يزيد عن ستة سراير للأطفال لها أسوارها المكيفة حتى لا يسقط الطفل من السرير وتسمى هذه الحجرة cri baby room وتتولى الاشراف على هذه الحجرة أثناء الخدمة الكنسية أحدى الفتيات الشابات أو احدى الامهات.. ويتداول رعاية هذه الحجرة شابة مختلفة كل أسبوع كتطوع لخدمة الكنيسة وبهذا لا تحرم الفتاة مديرة الحجرة أيضا من الاشتراك فى حضور الصلاة اكثر من مرة كل شهر أو شهرين.

كل ما تستلزمه هذه الحجرة بعض زجاجات الألبان لارضاع الطفل الذى يجوع أو يبكى وأن تتطوع بعض السيدات لغسيل ملايات السراير بعد استعمالها ولو مرة واحدة محافظة على صحة الأطفال. ومن الطبيعى أن يكون تحت كل ملاءه غطاء آخر من الجلد أو البلاستيك للنظافة. هذا المشروع له أهمية خاصة فى خدمة الكنيسة حتى لا تحرم بعض الاسر من حضور الكنيسة.

هذه الحجرة تختلف عن الحجرة الأخرى للأطفال من سنتين إلى أربع سنواتالتى تعتبرت حجرة school pregarden

١٥ - مشروع مساعدة الفقراء الذين لا منازل لهم homeless

هذه الظاهرة موجودة هنا فى الولايات المتحدة بنوع خاص حيث يوجد فقراء ينامون فى العراء أو أركان الشوارع ويتحملون البرد الشديد أحيانا ويحتاجون إلى من يمدهم بالغذاء. يقوم شباب الكنائس المختلفة بأن تمد لهم بالغطاء وتحضر لهم الطعام يوميا. وقد تدعوهم بعض الكنائس بحفلات للغذاء داخل مبانيهم ويتولى الخدمة شباب الكنيسة. وفى أحيان قليلة إذا كان مبنى الكنيسة متسع ويكفى لتخصص جزء منه لنوم هؤلاء فهم يدعونهم للمبيت فى هذه الكنائس وبذلك يضمنون أنهم لا يستخدمون أى مسكرات أو مخدرات وتعتبر الكنيسة لهم كملجأ لحمايتهم من أنفسهم أو من غيرهم. وكثيرا ما تتطوع بعض المرضات من الفتيات بزيارة هؤلاء فى الكنائس أو أركان الشوارع للتعرف على حالاتهم الصحية وإخبار إدارة الصحة العامة عنها.

١٦ - وفى أثناء العطلات الصيفية أحيانا تتكون من الشباب جماعات يطلق عليها اسم "المدارس الخيرية فى الصيف" تزيد أعمال الشباب فى تلك الفترة لعمل الغير بزيارة هؤلاء ومحاولة اسعادهم بهدايا أو بعض الأحاديث المبهجة والملابس التى تحتاج إليها هؤلاء ويساهمون فى خدمتهم اللازمة بأى شكل.

١٧-جماعة زيارة المرضى فى المستشفيات

يحس المريض فى المستشفى بأنه فى حاجة إلى العطف وأن يحيطه شعب الكنيسة بمحبة اكثر من المعتاد ولهذا تكون بعض الكنائس الغربية مثل هذه الجماعة حتى تقوم باشباع هذه الخدمة النفسية. لا ينسى المريض فضل الكنيسة لهذه الزيارات ويحس لو رافقهم الأب الكاهن إذا كان وقته الثمين يسمح بهذه المشاركة الروحية ويصلون له وأو أن يناوله الأب الكاهن من الجسد المقدس. لا شك أن للتناول من سر الافخارستيا يعطى دفعة سيكولوجية عالية للمريض. عندما تناولت المرحومة زوجتى ليلى من الجسد الكريم أحست بسعادة فائقة فى يومها الأخير لأنها أحست بغفران الخطايا واقترابها من الله الأب والابن الكلمة والروح القدس. لقد أصبح الله فى أحشائها فى هذه اللحظة الغالية. ما أحوج المريض إلى هذه الدفعة الروحية.

هذه هي بعض المحاولات التى ينادى بها رجال السيكولوجيا الدينية لخدمة الشباب للكنيسة وابعادهم عن المحاولات الشيطانية للخطيئة.

ولكن يمكن أن نتساءل مع بعض رجال الكنيسة القبطية هل جميع هذه المحاولات تتفق مع المبدأ العام.. مبدأ الخلاص الذى من أجله جاء السيد المسيح وتحمل آلام الصلب عنا. هل الوسائل الاجتماعية التى ذكرنا تتفق مع الهدف العام للمسيحية والفضائل المسيحية كالرحمة والمحبة والأخوة الجامعة الرسولية. هل هى تتفق مع مبدأ الصلاة والصوم والاحساس والشفقة وعلاج المريض واشباع الجوعان وإعطاء

الملبس للعريان .. الخ. هل هى تتفق مع المبدأ العام وهو التحرير من الخطية الذى نادت به القيامة من الموت فى اليوم الثالث. هل هى تتمشى مع المحبة المسيحية إلى حد الكمال.

الاجابة على هذه التساؤلات يستلزم أن ننظر اين تأخذ هذه الوسائل الاجتماعية مكانها ولماذا تحدث؟ ينبغى أن نتذكر أنه لابد وأن يكون هناك توازن بين هذه الوسائل الاجتماعية والخدمة المباشرة للروحانيات التى يستلزمها رب المجد ماذا يحدث لو أهملنا هذه الوسائل.. قد نفقد الشباب أو بعضهم على الأقل تماما. إن السيد المسيح كراع صالح وأمين يفرح بأن يجد ابنا واحدا ضالا... مثال الابن الضال. جاء فى إنجيل لوقا البشير (اصحاح ١٥ آية ٣) "أى انسان منكم له مائة خروف وأضاع واحدا منها ألا يترك التسعة والتسعين فى البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده. وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحا. ويأتى إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم أفرحوا معى وجدت خروفى الضال". وقال فى نفس (الاصحاح آية ١٠) "هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب".

لسنا فى حاجة أن نذكر هنا مثال الابن الضال الذى ذكر فى نفس (الاصحاح ١٥ آية ١١-١٣) لأنه مثال مشهور ويقرأ فى الكنيسة مرتين قبل القداس كل عام على الأقل. ولكنه ينتهى هذا المثال بهذه العبارة (آية ٢١) "كان ينبغى أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد".

هذه الامثلة تبين لماذا يسعى الكاهن الحكيم إلى تفسير واسع لرسالة رب المجد. ينبغى أن نطبق الهدف من الرسالة

بأن يأتى الجميع إلى أحضان الكنيسة وبذلك يمكنهم أن يطبقوا كل مبادئ الرحمة والمحبة ومساعدة الغرباء والمرضى والمحتاجين. إن وسائل النشاط التى ذكرناها عن الشباب هى المفتاح الذى يفتح الباب لطريق الروح.

لقد ذكرنا أن جميع هذه الوسائل الاجتماعية وطريقة تنفيذها إنما هو مسئولية الكنيسة أولا وأخيرا. أنها تأخذ مكانها تحت أشراف الكنيسة وأراخنتها وليست فى أحد الأندية الحرة للشباب ليعملوا فيها كما يشاءون. إنها تحمل اسم الكنيسة وترتبط بها وتقود عن طريقها الشباب إلى العبادة والخدمة الروحية. إنها خطوة للاقتراب من عبادة الرب وتقديس مشيئته والاشتراك فى خبز الحياة. ليس هدف التمثيل هو مجرد التسلية ولكنه وسيلة للمحافظة على الشباب واشباع ذاتياته فى حدود المشيئة الالهية. إن الشباب فيها جزء من رعية الكنيسة بدلا من أن يكون خروفا ضالا. إن تناول الشعب طعامه فى الكنيسة أفضل من ذهابهم إلى مطعم حيث قد تمتد طلباتهم إلى الخمر. إن اشتراك الشباب فى أعمال الزراعة أو النظافة الخاصة بالكنيسة خير من أن ينشغلوا مع شباب غير كنسى فى مكان ما. كلما كان الشاب مرتبط بأعمال تحدث فى داخل الكنيسة أو تحت إشرافها أسلم عاقبة من الانحدار إلى حيث يعلم الشيطان.

إن للشباب قيمة غالية جدا.. وهو طاقة من النشاط ينبغى أن تستخدم وأن تجد وسبيلا للتعبير عنها. إنها قوة مخزونة فأذا لم تستخدمها الكنيسة فسوف تنفجر فى مكان آخر ولا سبيل إلى كبتها فى الداخل. ليس أمام الكنيسة خيار

آخر.. إما مع المسيح له المجد أو مع الشيطان.. ومن ليس معنا فهو علينا كما قال السيد المسيح.

وإلى الكنائس القبطية فى أمريكا وغيرها خارج مصر أذكر أن هناك فرصا للانحراف للشباب اكثر منها فى مصر. لأن المحيط الأسرى فى مصر أقدر على دعم سلوك الشباب وارتباطهم بالكنيسة أكثر من خارج مصر. وإذن ينبغى أن نكون ملمين بأن فرص الانحراف والجناح فى الخارج واسعة النطاق سواء من حيث الجنس أو المخدرات المنتشرة فى المدارس أو العصابات الشبابية. معنى ذلك أن دور الكنيسة هنا فى خارج مصر ينبغى أن يكون أقوى وتحتاج الكنيسة إلى كهنة أكثر فى خدماتهم عنهم فى مصر. وهذا يفسر كيف أن الكنيسة هنا فى الخارج تحت إلى دعم أقوى ومساعدات وتضحيات من شعبها أكثر بكثير من مصر. ينبغى أن يتنبه كل شخص فى الجالية أن الكنيسة ينبغى أن تنجح فى أداء مهماتها نحو الشباب والأسرة وإلا فلا لوم على أحد إلا أنفسنا. الاب الكاهن لا يستطيع أن يعمل المعجزات بمفرده. ولكن بمساعدة الاسر والشباب يستطيع الكاهن أن يؤدى واجبه. نعم يستطيع. كم من شباب يعلم قصة ذلك الطفل الرضيع القديس بوجوليب Bogolep من مواليد تانزانيا فى أفريقيا كان يتوقف عن الرضاعة منذ ولادته أيام الأربعاء والجمعة كل أسبوع ويبقى ببطن خاوية جائعة لاحترام الصوم فى هذه اليومين. مهما فعلت الأم كان يرفض الرضاعةز وعندما نما بعض الشيء كان صيامه فى غاية الشدة حتى كان أبواه يرجونه أن يخفف من حدة صيامه ولكنه كان يرفض. ومع

ذلك كان يشترك مع الشباب فى عدد من الألعاب الرياضية حتى أنضم اخيرا إلى أحد الاديرة الكاثوليكية. وأخير استطاع الشعب الاسلامى أن يقبضوا عليه وربطوه بفروع الشجر ويوكلوه بالضرب وأشعلوا تحته نارا. كان ذلك فى أثناء صيام السيدة العذراء فظهرت له السيدة العذراء كاملة الطهر وشجعته على تحمل الآلام حتى انتقل إلى الملكوت وأطلق عليه اسم "القديس يوحنا الصائم John The Faster".

رغم أنه كان يساهم فى الرياضة البدانية لم يكن ينظر إلى أبطال الجسد أو الجمال الارضى ولكنه كان يمنح نفسه كل فرص الحرمان وينظر فقط إلى السيد المسيح الذى يستطيع أن يكافئ فى السماء.

ذهب القديس إلى جوار الرب ولكنه ترك وراءه كل أصدقائه فى الرياضة أصبحوا أصدقاء للمسيح. ليتمد اسمه القدوس.

وأود أن أوضح لماذا أرى أن هناك حاجة الآن إلى استخدام الوسائل الاجتماعية لاجتذاب الشباب.. إننا فى عصر حدثت فيه تغيرات كثيرة فى العالم الجديد. يمكن أن أطلق عليه عصر المادة، عصر الزهو بالذات وتمجيد النفس. من الطبيعى أن هذا العصر لا يقارن بالعصر المجيد الذى وعدنا به المخلص. هناك أعداد من الناس فى هذا العالم الحاضر ضلوا حتى أطلقوا على أنفسهم "لا إلهيون" وتجدهم فى المجلات العامة يهاجمون حقائق الانجيل ويتساءلون ماذا تستطيع الكنيسة أن تعمل لى. أصبحت حياتهم خلال فى ضلال. إنهم ابعد ما يكون عن أن يفهموا أننا لا يمكن أن ننال الخلاص إلا بيسوع

المسيح. لا يعبئون أن الخلاص يستلزم جهدا خاصا من كل شخص ليحصل عليه.. الواقع أنه حتى بالجهد الفردى ينال الانسان الخلاص ولكن لابد وأن ينال رحمة من الله بمحبته. هناك ناحيتان للوصول للخلاص. لقد خلق الله الانسان بأمر منه وحده ولكنه استلزم لينال الخلاص ان يبذل الانسان نفسه جهدا خاصا. الرب منح الانسان حرية الاختيار للخير أو الشر، الخلاص أو الهلاك. ولا يحد الله هذه الحرية أو يتدخل فيها. لقد أوضح ذلك كتاب "مقالات عن لاهوتية الأخلاق" الذى أصدره مجمع الاساقفة الارثوذكس الذى اجتمع فى روسيا سنة ١٩٧٥ (صفحة ١٦). "الله رحوم ومحب ويريد أن الجميع يخلصون ولكن لابد لهم أن يجتازوا الخلاص لأنفسهم وأن يعملوا من أجله". يصدر الخلاص بناء على ناحيتين "الايمان والعمل" من ناحية "ورحمة الرب ومحبته إذا كنا نستحقها" من ناحية أخرى. وقال أسقفنا الحبيب أنبا دافيد فى أحد عظاته "المسيحية هى تلك الجوهرة الثمينة التى وجدها المزارع.. لكى يحص لعليها كان لابد له أن يذهب ويبيع أرضه كلها ويشترى القطعة التى فيها الجوهرة". هذه هى إرادة الرب.

ليست القداسة هدية مجانية بل تستلزم العمل لتحقيقها ولكى تصبح هدف للحياة.

والمقصود من كل هذه المناقشة كيف تجتذب الشباب لكى يقوم بنفسه بالعمل اللازم للخلاص. يجب أن يرى الجوهرة أولا. ولكن كيف يراها.. يجب أن يبحث ليجد ما يجتذبه. وإذن فالجاذبية هامة جدا ليصل إلى الهدف. لنجتذبه أولا إلى حضن

الكنيسة ويتذوقها ويراها فيجرى وراءها. وبعد ذلك لتكن إرادة الرب.

ولايجاد هذه الصلة أو العلاقة القوية بين الشباب والكنيسة يجب أن نشير قطعا إلى الدور الذى يجب أن يلعبه الآباء والأمهات. ربما كانت هناك بعض الصعوبات فى فهم عبارة السيد المسيح التى جاءت فى إنجيل متى (اصحاح ١٠ آية ٣٧) "من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى. ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى لا يستحقنى". قد يفهم الشاب خطأ أنه لابد وأن يكون هنا صراع بين الشاب وأبويه. ليس هذا هو المقصود أطلاقا. انظر إلى حياة الشهداء حيث يقوم الآب نفسه بنفسه لينال الشهادة ويرجوه ابنه أو اسرته أن يتخلى عن هذه التضحية وأن يبقى معهم فى الحياة.. وتخيل أبنا يتطوع مثل القديس أبانوب لينال الشهادة والعذاب لو قال له الوالدان لا تذهب.. ينبغى أن يحس كل فرد أن حياته هى ملك الرب وإذا شاءت ارادته فليقدمها للرب. إنها من صنع يديه. فليس الهدف من هذه العبارة ألا يحب الاب ابنه أو ابنته، بل أن يعتبر اباه كما يعتبر نفسه من خلق الرب وصنعه. لم يتردد أبو الآباء إبراهيم أن يأخذ ابنه ليقدمه ذبيحة للرب. هذا هو الايمان العظيم. فالقصد إذن أن يعمل الاب لتوجيه أبنه للكنيسة مهما كان محتاجا إليه فى حياته الخاصة. "أن عشنا فللرب نعيش وأن متنا فللرب نموت". لا ينبغى أن يكون هناك تعارض بين المحبة الأبوية ومحبة الرب.

أعرف شابا كان ناجحا جدا فى عمله هنا فى أمريكا ويساند فى حياة امه التى تعيش بمفردها بعد وفاة زوجها. ومع ذلك عندما أراد أن يذهب إلى أحد الأديرة ليصبح راهبا رحبت الأم برغبته وقبلته وهو الآن يعيش كراهب فى أحد الأديرة فى مصر. لا ينبغى أن يكون هناك تعارض بين محبة الوالدين ومحبة الرب وهذا هو تفسير العبارة "من أحب أبا وأما أكثر منى فهو لا يستحقنى". لم تتردد الأم الوحيدة فى تشجيع رغبة ابنها بعد أن تحققت أنها رغبة صحيحة وأكيدة لم تفكر فى نفسها أو وحدانيتها بل فكرت أيضا فى الرب. وبعد فترة ثلاث سنوات عندما رسم ابنها راهبا كانت تصيح بالفرح وتعطى النبأ لكل أصدقاء الاسرة. نجح ابنى فى أن يكون راهبا للرب.

قد يكون أحد الآباء رمزا غير جيد للمسيحية أمام طفله الشاب. مهما كان مسيحيا فى عاداته الأخرى وعلى الأخص فى ذهابه إلى الكنيسة. مثال أعرفه أن شخصا كان يقرع الباب لأسرة معينة وكان صوت القارع صاحب دين معين ولا يستطيع الأب أن يدفع دينه فى ذلك اليوم. وإذا بالاب يطلب من الابن أن يقول له أنه غير موجود.. فعل الشاب ذلك ولكن أليس هذا درسا فى الكذب يعلمه الأب للابن. وإذن فالكذب خطيئة مقبولة يفعلها الآب ولا مانع أن يفعلها الابن فى أى مكان. إنه يتعلم ألا يثق فى قول أحد. الكذب هو الكذب مهما كانت الأحوال ومن أخطأ فى هذه الخطايا الصغيرة فقد أخطأ فى الكل.

من ناحية أخرى يوجد آباء كثيرون يتنفسون روح الله ويمجدون الرب فى كل أعمالهم وأقوالهم. إننا نرى الأمهات يحملن أطفالهن ويذهبن إلى الكنيسة مهما تكلفوا من متاعب. تسمع عن الكنيسة الارثوذكسية الروسية وكيف يتحمل بعض أعضائها حتى فى هذا العصر بعض المصاعب والسجن أو الطرد من وظائفهم لأنهم يريدون أن يحافظوا على صلتهم بالرب. نسمع الكثير عن ما يحدث فى نواح من صعيد مصر كيف تهاجم بعض الكنائس ويقتل أو يصاب من فيها ومع ذلك تجد الكنائس مليئة بالمؤمنين. هناك متطرفون متحمسون فى كل مكان فى العالم حتى فى الولايات المتحدة التى تفترض أنها الاكثر حضارة فى العالم. ألم يقتل كاهن فى كنيسة ارثوذكسية سوريانية فى نيوجيرسى فى القرن الحادى والعشرين. وحدثت فى كاليفورنيا هذا الشهر حادث مقتل لراعى الكنيسة أثناء إلقاء العظة. كانت الكنيسة بروتستانتية إنجيلية. كان القاتل شابا من أبناء الكنيسة وكانت زوجته التى هاجرته تذهب إلى هذه الكنيسة "بابتست". ما أحرانا أن يعيش الشباب فى أحضان الكنيسة بدلا من أن يكونوا أعداء للكنيسة ما أحوجنا أن يكون أبناء الكنيسة مثالا لبنوتهم ومحبتهم للرب. ليس خطأ أن تستخدم الكنيسة بعض الوسائل الاجتماعية التى ذكرناها فى مبدأ هذا الفصل كأسلوب لجذب الشباب إلى حياة النور بدلا من الظلمة.

أنا واثق أن كل آبائنا ملائكة الكنائس القبطية يعملون جاهدين. على الأخص فى فصول الصيف والاجازات الدراسية على أن تكون كنائسهم كخلية نحل من نشاط دائب ومستمر

بشبابها وكهولها ونسائها، وأن تكون الكنيسة مركز حياة الجالية القبطية. بارك الله فى جهودهم وليعوضهم الله عنا بكل خير فى المائدة السماوية. فى هذه الفترة القصيرة أثبتوا أنهم أصبحوا مثلا أعلى لرعاة الكنائس الأخرى سواء من حيث التقوى أو من حيث الرعاية السليمة والمحبة الفائضة. جعلنا الله مستحقين أن ننال بركة صلواتهم..

الفصل الرابع
المرأة والكنيسة

لقد تحدث الإنجيل المقدس للمرأة فى وضوح عـن دورهـا أثناء عبادة الرب فى الكنيسة. جاء فى رسالة بولس الرسـول فى رسـالته إلى أهـل كورنثـوس (اصـحاح ١٤ آيـة ٣٤-٣٦) "لتصمت نساؤكم فى الكنـائس لأنـه لـيس مأذونـا لهـن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا. ولكـن إن كـن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن فى البيت لأنـه قبـيح بالنساء أن يتكلمن فى الكنيسـة". وقال أيـضا "لأن آدم خلـق أولا وبعد ذلك المرأة". قد يكـون هنـاك بعـض الـصعوبة فى القرن الحادى والعشرين فى فهم هذا الأمر الإلهى ولهذا لجأت بعض الكنائس البروتستانتية خطأ إلى الخروج عن أمـر اللـه وحتى عينت بعض النساء ليقمن بمنصب راعـى الكنيـسة أو كما ترى عيونهم الخاطئة.

يفسر الإنجيل المقـدس لمـاذا يجـب أن تـصمت المـرأة فى الكنيسة ولماذا لا يسمح لها بالكلام فيها. "لقد خلـق آدم أولا وبعد ذلك المرأة". هذا هو ما أراده الرب وما قالـه ينبغـى أن ينفذ حرفيا. جاء فى سفر التكوين (الاصحاح الثالث آيـة ١٦) وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلـك. بـالوجع تلـدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يـسود عليـك. الـسبب فى أن المرأة يجب أن تطيع رجلهـا وأنهـا لا ينبغـى أن تتحـدث فى

الكنيسة هو أن هذه هى إرادة الله أن الرجل يسود على المرأة. قد يعترض البعض على هذه القاعدة ولكنها مشيئة الرب وكيف خلق العالم. جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (الاصحاح ٩ آية ٢٠) "بل من أنت أيها الانسان الذى يجاوب الله. ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا. أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان". من نحن حتى نجاوب الخالق أو نطلب منه أسبابا أو تبريرا لما فعل.

وجاء أيضا فى رسالة القديس بولس إلى تيموثاوس (اصحاح ٢ آية ١١-١٣) ما ينص على أننا ينبغى أن نطيع الناموس "لأن كل من أخطأ فى الناموس بالناموس يدان". لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون. كلمة الرب صريحة كل الصراحة وواضحة تماما. عندما يقول الرب إنه ليس مسموحا للمرأة أن تتحدث معناها أن أى مخالفة لذلك يعتبر خطيئة. إنها خطيئة تبعد بيننا وبين الرب ومعنى ذلك أنها خطية أبدية. عندما تقف المرأة أمام شعب الكنيسة للتعليم أو الوعظ أو قيادة الصلاة فهى مخالفة للأوامر الإلهية. إنها فى الواقع تعطل عبادة الرب وتعتبر ثورة على مشيئة الرب. إن الله ليس مجرد ألفاظ نتحدث بها إليه ولكنه روح وحقيقة. فإذا كانت الصلاة أو العبادة تتبع أسلوبا لا يرضاه الرب فهى عبادة باطلة ولا يقبلها الرب لأنها تجاهل للإرادة الإلهية. إنها فى الواقع تعطل عبادة الرب وتعتبر ثورة على مشيئة الرب. إن الله ليس مجرد ألفاظ نتحدث بها إليه ولكنه روح وحقيقة. فإذا كانت الصلاة أو العبادة تتبع أسلوبا لا يرضاه الرب فهى

عبادة باطلة ولا يقبلها الرب لأنها تجاهل للإرادة الإلهية. هـذا هو بالضبط ما أكده صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث رئيس المجمع المقدس. إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تستمد مبادئها وسلطانها مباشرة من الإنجيل المقدس. نقل هذه العبارة عنه الدكتور أمير حنا أستاذ اللاهوت سنة ١٩٩٨. إن الكنيسة القبطية تحترم الكتاب المقدس وتعمل بكل ما جاء فيه ولا سبيل إلى تغيير حرف واحد منه. هذا يفسر لماذا لا تسمح الكنيسة القبطية برسامة نساء لمنصب الكهنوت. إن هناك أسبابا كثيرة فى عمل الكاهن لا تسمح للمرأة أن تقوم بهذه المهمة الروحية، ولا تتناسب مع طبيعتها ومن أمثلة ذلك تعميد الرجال. كيف يمكن للمرأة أن تقوم بتعميد الرجل. ليس ذلك من السهل. ولا يمكن للمرأة أن تصبح أسقفا لأن معنى ذلك أن جميع الكهنة يصبحون خاضعين لسلطتها وتتولى هى رئاستهم أو التشريع لهم ولأعمالهم مع الشعب. هذا يتنافى مع أوامر الإنجيل.

فى الكنيسة القبطية عمل المرأة محدود نسبيا. إذ لا تسمح الكنيسة لها أن تقرأ الإنجيل فى الكنيسة أمام الشعب بصوت مرتفع. ولكنها تستطيع فى مدارس الأحد أن تقوم بتعليم الأطفال والبنات الأخريات ولكنهن لا يقمن بتعليم الرجال فى مدارس الأحد البالغين. بالاضافة إلى تدريسهم فى مدارس الأحد يسمح للمرأة أن تكون راهبة فى دير من أديرة السيدات وأن تكون عضوا فى مجلس الكنيسة وتكون مرشدة سيكولوجية للأطفال وأن تشترك فى الأعمال الإدارية وتساهم فى إصدار المنشورات الكنسية.

كانت الكنيسة الأولى فى بدء المسيحية تسمح للمرأة أن تتولى منصب "الشماسة" فى الكنيسة، ولكن من القرن لثالث عشر تجاهلت الكنيسة هذه المسئولية للمراة. وفى سنة ١٩٨١ عادت الكنيسة بالسماح للمرأة أن تكون "شماسة" على أن يقمن بمهام خاصة. ويوجد الآن فى الكنيسة القبطية أكثر من أربعمائة من الفتيات اللاتى رشمن كشماسات. وبحسب التقليد تكون الشماسة إما عذراء أو بعد وفاة زوجها. قال قداسة البابا شنودة لقد اصبح أحساسنا أكيدا بالحاجة إلى خدمات النساء فى نواحى كثيرة من الخدمات الروحية والتربوية. ليس ذلك فقط للعمل كمدرسات لمدارس الأحد، ولكن لأن الكنيسة تتطلع فى أن نساء كثيرات يضعون كل حياتهن. فى خدمة الرب وكنيسته. هذه هى إحدى النواحى الكبيرة التى اتسعت فيها الكنيسة القبطية فى عهد صاحب القداسة الانبا شنودة الثالث. هناك امتدادات ضخمة فى الأديرة القبطية ورهبانها وعدد الكنائس القبطية حول العالم ولكن الآن أيضا فى أديرة السيدات وعدد الراهبات اللآتى كرسن حياتهن تماما للرب واجتذاب مؤمنات حديثات الايمان اللاتى لا سبيل إلى ذكر عددهن. ونشير إلى آن هناك زيادة مضطردة للراهبات وخادمات الرب فى دير السيدة العذراء فى كاليفورنيا للأخوات وفى أوروبا وأستراليا ونيوزيلند وأفريقيا وغيرها. لقد أصبحنا نتطلع إلى اجتماع دولى لممثلى الكنائس والأديرة المختلفة للرجال وللسيدات فى وقت قريب. نرجو أن تكون هناك صلات أكيدة ووثيقة بين كنائس وأديرة العالم كله بإيمان واحد وصوت واحد فى صلاة اجماعية ويتناولون من جسد مقدس ودم كريم فى وقت واحد.

ولما كنا الآن نتحدث عن المرأة والكنيسة أجد ضرورة إلى الاشارة إلى أننا لو زرنا أى كنيسة قبطية فسوف نجد النساء جميعا يجلسون فى المقاعد من ناحية اليمين. والرجال فى ناحية اليسار مع انفصال كلى بسبب الجنس. نجد أيضا أن جميع السيدات والبنات يضعن على رؤوسهن غطاء للشعر أبيض اللون على الأخص فى وقت القداسات. كل سيدة تود أن تتناول من سر الأفخارستيا يجب أن يكون رأسها عليه غطاء كامل لشعرها وغالبا يكون هذا الغطاء شاملا لزخارف (بروديرى) ولكن ليس فيها فتحات كبيرة لأن الهدف هو أخفاء الشعر حتى لا يكون هناك وسيلة للإغراء الجنسى للرجال. المرأة فى الكنيسة للفضيلة وليست للتحايل والتجامل أو التجميل. الكنيسة هى مكان عبادة الرب. لهذا الغطاء تاريخ طويل إذ يعود إلى العصور المسيحية الأولى ولازالت الكنيسة القبطية تتبع نفس النظام. جاء فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (الاصحاح ١١ آية ٢-١٥) "ولكن اريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما المرأة فهو الرجل. ورأس المسيح هو الله. كل رجل يصلى أو يتنبأ وله على رأسه شيء يشين رأسه. وأما كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها. إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها. وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط. فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهى مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل. لهذا ينبغى أن يكون للمرأة سلطان على رأسها من أجل الملائكة. غير أن الرجل ليس من دون المرأة

ولا المرأة من دون الرجل فى الرب. لأنه كما أن المرأة هى من الرجل هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة. ولكن جميع الأشياء هى من الرب. أحكموا فى أنفسكم. هل يليق بالمرأة أن تصلى إلى الله وهى غير مغطاه. أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم أن الرجل إن كان يرخى شعره فهو عيب له. وأما المرأة إن كانت ترخى شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطى لها عوض البرقع".

من عبارات القديس بولس التى هى بإيحاء من الرب نجد توضيحا كافيا لماذا تلاحظ أنه بمجرد دخول السيدات القبطيات إلى الكنيسة يسارعن إلى إخراج غطاء الرأس من أى نوع ليضعهن على رؤوسهن.

قد يسئ بعد الأزواج الحديثين فهم الرئاسة التى سمح بها الرب للزوج على زوجته "الرجل رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة" الرجل رأس المرأة وعليها أن تطيع كما أن الكنيسة تطيع الرب ذاته. يجب أن يعرف الرجل أن هذا الأمر ليس مطلقا بل هو خاص بالشئون الدينية. فإذا طلب الزوج من زوجته أن تذهب وتنتحر هل تطيع؟ إذا طلب إليها ألا تذهب إلى الكنيسة إطلاقا هل تطيع الزوج أكثر من الرب. إذا فعلت فهى لا تستحق الرب. إذا طلب إليها أن تذهب عارية أمام الناس. هل تطيع؟ وإذن فالمسألة محددة ومخصوصة بالطاعة فى الحدود التى يقبلها الرب. لا ينبغى أن ننسى أنه فى الوقت الذى قال فيه "الرجل رأس المرأة" قال أيضا أنه على الزوج أن يحب زوجته كما أن السيد المسيح أحب الكنيسة. لقد قبل السيد المسيح أن يتحمل كل هذه الآلام وأن يفقد حياته الأرضية على الصليب من أجل خلاص شعبه. كذلك على الزوج أن يحب زوجته إلى المنتهى. هما جسد واحد. لقد أصبح

الاثنان بسر الزواج كائنا واحد وأن يكون الزوج مستعدا للموت من أجل حماية زوجته ومصلحتها.. إنه حب ليس له نهاية أو حدود. فلا يجوز للزوج أن يأخذ نصف العبارة "الرجل رأس المرأة" وينسى بقية الوصية أن عليه أن يحب زوجته كما أحب السيد المسيح الكنيسة وضحى بنفسه متحملا كل هذه الآلام من أجل خلاص شعبه. لا ينبغى أن يتجبر الرجل حتى يصبح إلها وتجاهل أن الرب فوق الجميع. ينبغى أن يفعل فقط كل شيء لمجد الله وأن يطلب فقط ما يوافق الرب. جاء فى رسالة بولس الرسول إن الله جعل رأسا فوق كل شئ للكنيسة التى جسده الذى يملأ الكل فى الكل (افسس ١ آية ٢٢). كل رجل يجب أن يعلم أنه خاضع لحكم الله. وأن الله فوق الجميع. فالرجل يجب أن يرعى فى علاقته مع زوجته أن تكون صلته بها مرضية أمام الرب وأن كلا منهما يعيش فى الرب. من هذا يتبين أن الخلاف بين الزوجين يحدث فقط إذا كان الزوج لا يحترم سلطة الله كحاكم أعلى للجميع. جاء فى رسالة القديس بولس فى رسالته إلى تيطس (اصحاح ٢ آية ١-٦) "وأما أنت فتحدث بما يليق بالتعليم الصحيح أن يكون الأشياخ صاحين ذوى وقار متعقلين أصحاء فى الايمان والمحبة والصبر. كذلك العجائز فى سيرة تليق بالقداسة غير ثالبات غير مستعبدات للخمر الكثير معلمات الصلاح لكى ينصحن الحدثات أن يكون محبات لرجالهن ويحبن أولادهن، متعقلات عفيفات ملازمات بيوتهن صالحات خاضعات لرجالهن لكى لا يجدف على كلمة الله".

إن خضوع المرأة للرجل هو أمر إلهى ولهذا فهو أحد المبادئ المسيحية التى ينبغى تنفيذها. إن الله هو الذى أمر

باحترام الرجل منذ كان فى جنات عدن، وسوف يبقى إلى نهاية العالم لأن حرفا من كلامه لن يزول. لقد خلقت المرأة من الرجل وخلقت من أجله. ومع ذلك فإن خلاص المرأة ليس مرتبطا أو موقوفا على الرجل. جاء فى رسالة الرسول إلى أهل غلاطية (اصحاح ٣ آية ٢٨) "ليس ذكر أو أنثى لأنكم واحد فى المسيح يسوع". وإذن فالجميع يخلصون ليس بحسب الجنس أو لأنهم يهود أو يونان ولكن "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح". فى ساعة الخلاص ليس هناك فضل للرجل على المرأة أو للأصل الذى جاء منه أى شخص أو غنى أو فقر.. بل لأنهم جيمعا أعتمدوا باسم الرب. إننا جميعا أمام الله سواء كنا أزواج أو زوجات، أبناء أو آباء أمريكيون أو مصريون. وعندما يرحل شخص من هذا العالم لا يحل محله شخص آخر مهما كان. لا يمكن لشخص أن يملأ مكان أى شخص أخر. لقد حدد الرب لكل شخص مهمة خاصة ليقوم بها فى الحياة. وقد أعطى الرب للمرأة أعمالا خاصة عليها أن تقبلها وتسعد بها. وسوف يقدرها الرب على قدر ما تقوم به من عمل يرضيه. من واجب المرأة أن تقبل الوظيفة التى حددها الرب وذكرناها فى رسالة بولس الرسول إلى تيطس (اصحاح ٢) منذ لحظات وأن تؤديها دون تردد أو تمرد لأنها هى التى أرادها الرب. وفى هذه الآية جاءت كلمة ملازمات لبيوتهن قد يظن البعض أن المرأة يجب أن تعمل فقط من منزلها. لا يقصد بذلك أن المرأة هى مجرد شريكة فى الحياة المنزلية فقط إنها شريكة لزوجها فى كل الملتزمات التى يفترض أن تقوم بها لتحقيق أهداف الأرض والسماء. لكل منهما دور خاص به. هكذا تستحق المرأة أن تعيش فى عالم

الحب مع زوجها وأن يحيطها الزوج بكل عوامل من العطف والمساعدة وحسن المعاملة. وهذا ما وصفه بطرس الرسول فى رسالته الأولى عن الزوجة الفاضلة (فى الاصحاح ٣ آية ١-٦) "كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف. ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب. بل إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن. فإنه كانت قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله يزين أنفسهن خاضعات لرجالهن كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها".

ومن ناحية أخرى جاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (اصحاح ٥ آية ٢٢-٢٦) "لأن الرجل رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شئ. أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها".

وجاء أيضا فى رسالة الرسول بولس إلى أهل كولوسى (اصحاح ٣ آية ١٨) "أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن". ويصف المحبة الرسول فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس (اصحاح ١-٥) "وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء".

فى الكنيسة إذن يقوم الرجال بدور القيادة وتساعدها النساء ويرفع الجميع أيديهم إلى أعلى نحو السماء للتحدث إلى الرب فى محبة مشتركة ويقوم كل منهم بواجباتهم ويفكر

الجميع فى رب واحد ولا يحس أحد فيمن هو أعلى من الآخر فالعين لا تقول لليد أنا اهم منك ولا تقول القدم أن تقول أنا أقوم بمهمة أكبر.. الجميع أعضاء فى جسد واحد وكل عضو له مهمته اللازمة للحياة. الجميع يعبدون الرب، ولا يستطيع عضو أن يقول إنى أريد أن أؤدى مهمتك. حينما كان أى مسحيى فهو يؤدى المسئولية المحددة له من الرب ضابط الكل. ولكن من أهم وظائف المرأة فى الكنيسة هى التعليم للأطفال والفتيات وقد جاءت فى الرسالة إلى تيطس فى (الاصحاح الثانى آية ٣) "معلمات الصلاح" وجاء أيضا "لكى ينصحن الحدثات أن يكن محبات لرجالهن ويحبن أولادهن، متعقلات عفيفات".

هناك مناقشات ومحاولات طويلة خاصة بالخلق الإنسان فقد جاء فى سفر التكوين (الاصحاح الأول آية ٢٧) "فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وانثى خلقهم. وباركهم الله". وفى إنجيل متى البشير (اصحاح ١٩ آية ٤) "أما قرأتم أن الذى خلق منذ البدء خلقهم ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل آباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا. إذا ليسا بعد أثنين بل جسد واحد". وجاء فى إنجيل مرقس البشير (اصحاح ١٠ آية ١) "ولكن من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله". ويمكن ملاحظة أن الله أطلق عليهما معا كلمة "إنسان" فليس معنى ذلك الذكر أو الأنثى لأن الكلمة التى استخدمها الرب خالية من معنى الجنس. الانسان تشمل الرجل والمرأة وباركهما معا. جاء فى سفر التكوين (اصحاح ٥ أية ١-٢) "يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله ذكرا وأنثى خلقه وباركه". لم

يطلق عليهما كلمة رجل وامرأة بل إنسان وهى لا تعبر عن الجنس. وعندما اراد الرب أن يعبر عن الرجل كرجل والمرأة كأنثى كان يحدد ذلك بالضبط. جاء فى رسالة بولس الرسول إلى تيموثاوس الأولى (اصحاح ٢ آية ٤) "الذى يريد أن جميع الناس (وهى جمع إنسان) يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون".

ولكن ليس معنى ذلك أن المرأة يمكن أن تنسى التساؤل كيف خلقت. جاء فى سفر التكوين (اصحاح ٢ آية ٢١) "فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من ضلاعه وملا مكانها لحما وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم". لماذا خلقها الرب. الاجابة فى (الآية ١٨) "وقال الرب الإله ليس جيدا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينا نظيره" بحسب الكتاب المقدس إذن المرأة جاءت معينا للرجل وليست سيدا عليه ومع ذلك كانت المرأة هى التى دعته للسقوط فى الخطية بأن يأكل من ثمر الشجرة وكانت ضعيفة أمام الشيطان الذى استخدمها لهذا الهدف كما نعلم. وإذن فقد جاءت المرأة لتساعد الرجل فى خدمة الرب.

وذكر فى العهد القديم عدة مرات كانت المرأة نبية للرب. نذكر فى سفر الخروج (اصحاح ١٥ آية ٢٠) "فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص وأجابتهم مريم رنموا للرب فإنه قد تعظم". وجاء فى سفر القضاة (اصحاح ٤ آية ٤) "ودبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت هى قاضية إسرائيل فى ذلك الوقت". وجاء فى سفر نحميا (اصحاح ٦ أية ١٤) جاء ذكر نوعدية النبية وباقة

الأنبياء وفى سفر أشعياء (اصحاح ٨ آية ٣) "فاقتربت إلى النبية فحبلت وولدت ابنا". هذا عدد ضئيل من نبيات العهد القديم نذكرهم كأمثلة لدور المرأة فى الخدمة الدينية.

وفى العهد الجديد توجد أيضا عدة نبيات نذكر منهم بحسب إنجيل لوقا البشير (اصحاح ٢ آية ٣٦) "وكانت نبيه حنه بنت فنوئيل من سبط أشير وهى متقدمة فى ايام كثيرة.." وجاء فى سفر الرؤيا (اصحاح ٢ آية ٢٠) "ولكن عندى عليك أنك تسيب المرأة ايزابيل التى تقول إنها نبية حتى تعلم وتغوى عبيدى أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان".

هذه هى فقط بعض أمثلة لدور المرأة فى الحياة الروحية. جاء فى أعمال الرسل (الاصحاح الثانى آية ١٦) "بل هذا ما قيل بيوئيل النبى. يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى". وجاء فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (اصحاح ١٢ آية ٨) "فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح.. " فالنبوة هى أحدى المواهب الروحية التى يمنحها الرب سواء للرجال أو النساء دون تفرقه. وجاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (اصحاح ٤ آية ١١) "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح". وقامت المرأة بدور النبوة كثيرا كما قامت بدور المعلمات دائما. إن الرب هو الذى يختار الآنية الصالحة

لخدمته كما يشاء. إن كلمة الرب أحد من السيف ذو الحدين وهو صانع الكل بحسب إرادته. وفى حدود اختيار الرب من واجب الانسان سواء كان رجلا أو امرأة ينبغى أن يقوم بواجبه على الأكمل مهما كانت مسئولياته وأن يقدم دائما هدية من روحه للرب ويردد دائما أننا عبيد نطلب الرحمة. وإذا أخطأ أى إنسان على السواء فى جهده فسوف يلقى ما يستحق وإذا فعل خيرا فسوف يكافئه الرب. كل فرد سوف يقدم حسابه عن نفسه . من اللازم أن تكون المرأة فى (الاصحاح ٣١ آية ٢٩) "بنات كثيرات عملن فضلا". وجاء فى (الآية ٣٠-٣١) "المرأة التقية للرب فهى تمدح. أعطوها من ثمر يديها ولتمدحها أعمالها فى الأبواب".

وقبل أن أنهى حديثى عن دور المرأة فى الكنيسة أود أن أذكر خبرة شخصية أعتز بها.

عندما كنت مديرا للدراسات الدولية بجامعة نيوجيرسى كنت أقوم باحدى المهام وهى قيادة مجموعات من طلبة الدراسات العليا فى رحلات دولية لدرسات مباشرة فى مجتمعات فى الخارج. ومن الطبيعى أن من أول الاتجاهات التى أقود فيها طلبتى هى مصر والشرق الأوسط.

فى أحدى هذه الرحلات ذهبت مع طلبيتى لزيارة بعض كنائس مصر القديمة. ورغم أنه كان معنا مرشدة سياحية مسيحية ممتازة اسمها راندا جورج إلا أنها فى أحدى الكنائس قالت إنها سوف تدعو مختصة لتتحدث عن هذه الكنيسة وتاريخها. ذهبت إلى الداخل وعادت ومعها شماسة مكرسة قبطية حسنة المظهر وقدمت نفسها بأنها أحدى خادمات الرب فى هذه الكنيسة. تحدثت بلباقة ممتازة باللغة الانجليزية

عن تاريخ الكنيسة القبطية بأسلوب باهر حقا وعرضت حقائق تاريخية لم يعرف عنها الطلبة شيئا وخصوصا عن العصور الأولى للكنيسة وتطور قيام الكنائس فى العالم وحللت فى تفصيل عن قيام الكنيسة القبطية والقديس مرقس واكليريكية الاسكندرية وعدد من قديسيها. ثم توقفت فى لحظة معينة وقالت إنها الآن سوف تدعو لنا شماسة قبطية أخرى لتتحدث عن الناحية الفنية الأركيولوجية لهذه الكنيسة. نالت تصفيقا حادا من الزوار الذين كان يبلغ عددهم حوالى المائة. عادت مع زميلتها الأخت وقدمتها المجموعة. فوجئنا أن هذه الشماسة لا تقل روعة فى أسلوبها وقدرتها على شرح الأركيولوجيا فى بناء الكنيسة وتجولت مع المجموعة لشرح الايقونات مرورا أمام الهيكل مما اضطرها للاجابة عن بعض الأسئلة عن مسائل لاهوتية تتعلق بوجهة نظر الكنيسة القبطية وعند النهاية كان الزوار مشبعون بالكثير جدا عن مبادئ الكنيسة القبطية فسألها أحدهم.. هل يمكن أن نقابل البابا شنودة الثالث فقالت إن مشاغله كثيرة جدا ومسئولياته ضخمة ولا استطيع الاجابة ولكنى سوف اتحدث تليفونيا مع البطريركية. وعادت بعد قليل وقالت إن غبطته يرحب بكم فى دار البطريركية أنبا رويس. كانت مفاجأة رائعة أدت إلى تغيير برنامج الرحلة كلها فى القاهرة. اتجهنا إلى دار البطريركية فوجدنا مثلث الرحمات الانبا صمويل فى انتظارنا على المدخل حيث قاد المجموعة إلى مدرج المحاضرات. وبعد أن تم أنتظام الجلوس جاء قداسة البابا وصمم أن أجلس إلى جانبه فى مقدمة المدرج. تحدث إليهم قداسته وأجاب عدة أسئلة عن المبادئ الروحية للكنيسة وعن العلاقات مع

الكنائس الأجنبية الكاثوليكية والبروتستانتية بأسلوبه الانجليزي الجميل.

كانت خبرة لا تنسى قامت به الشماسات القبطيات ويمكن هنا فى أمريكا أيضا أستخدام المرأة فى مثل هذه المحاضرات أو فى مناسبات مماثلة.. نعم تستطيع المرأة القبطية أن تعمل الكثير فى خدمة الكنيسة إن لدينا فى أمريكا عدة سيدات يقمن بالتدريس فى جامعات أمريكية ويمكن الاستفادة من جهودهن المحبوبة لخدمة الكنيسة هناك فى هذه القارة الأمريكية ونواحى أخرى فى العالم حاجة ماسة للخدمات ولكن الفعلة قليلون. إننا فى عهد النهضة التى لم تحدث من قبل ما أحوجنا أن يؤدى كل فرد ما يستطيع فى خدمة الكنيسة..

الفصل الخامس

الطريق الثالث للمرأة: الشماسات المكرسات

حتى عام ١٩٨١ كان هناك فقط نظامان تختار منهما المرأة لخدمة الرب.

١- إما أن تخدمه وهى سيدة متزوجة وتقوم بدورها الذى حددته الكنيسة لها وهو من غير شك دور كبير فى الكنيسة المسيحية.

٢- أو أن تعتنق نظام الرهبنة النسائية فى أحد الأديرة للراهبات الأقباط.. فى هذا الطريق تعتبر المرأة الراهنة أنها ماتت تماما عن الحياة العادية ومنحت نفسها كاملة للرب. عبادة متواصلة وصلاة خاصة. فى بعض الأديرة وتقوم بعض الراهبات بأعمال تسمح بها رئيسة الدير أو تحددها لها تقاليد الدير.

٣- وأما الطريق الثالث فكان متبعا فى الكنيسة القبطية حتى نهاية القرن الثانى عشر.. ولكن نبع من جديد فى عصر النهضة الكنسية فى عهد صاحب القداسة الانبا شنودة الثالث. لم تعد المرأة تسأل نفسها هل الزواج أم الرهبنة. هذا النظام الذى عاد للوجود بقوة روحية عظيمة هو نظام الشماسات المكرسات.

كتبت عنــه بالتفــصيل مــاريز تــادرس Mariz Tadros ثــم انتجت عنه راندا شعث فيلما سينمائيا يعتبر تــسجيلا رائعــا. هذه النبعة الروحية اجتذبت أيضا انظــار بعــض الباحثــات الأجنبيــات مثــل الــسيدة الهولنديــة بيترنــيلا فــان دورن Pieternella Van Doorn والألمانية بيرجر بيرسون Birger Pearson والأمريكية بــاك مــاتر Baak Matter والايطاليــة ليونى ليفرى Leoni Liveri وغيرهم فذهبن إلى مصر وقمــن بدراسات طويلة لهذا النظام الذى يعتــبر الأول مــن نوعــه فى العالم الحديث قام أولا هؤلاء البحاث بدراســة نظــام رهبنــة السيدات فى مصر واصدرن عــدة مؤلفــات عنــه ثــم بــدأن فى التخصص فى الكتابة عن نظام الشماسات المكرسات وما تقوم به تلك الشماسات من خدمات للكنيسة ونظامهم فى الخدمات الروحية والعامة.

وصفت الصحف أن الشماسة تلبس رداء رمــادى اللــون وغطاء رمادى للرأس وصليبا من الجلد ويقمن بخدمات كثيرة حتى يمكن رؤيــتهن الآن فى طرقــات القــاهرة وبنهــا وكفــر الشيخ وبنى سويف والمنيا. مواظبات على حضور الصلوات فى الكنائس.

شرح صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبــا مــوسى أســقف الشباب أنه توجد فى الكنيسة ثــلاث درجــات للخــدام أولهــم الأسقف وثانى درجة هو للكاهن والدرجة الثالثة للشماس أو الشماسة. هذه الدرجات تحترمها الكنيسة مــن عهــد طويــل. ولكن نظام الشماسات المكرسات كان قد اختفى منــذ نهايــة القرن الثانى عشر نظرا لظروف اجتماعية وحكوميــة كانــت

سائدة فى مصر فى ذلك العهد العنيف. ولكننا الآن فى عصر النهضة الدينية الحديثة نجد أنه يوجد حوالى اربعمائة شماسة مكرسة فى الكنيسة القبطية. وقال نيافته إن الشماس المكرس إو الشماسة المكرسة "إنهم عين الكاهن ويده" يعطون كل وقتهم للخدمة أربعة وعشرين ساعة كل يوم طوال الأسبوع. أننا سعداء أن يكون فى كنيستنا هذا النظام التكريسى لأن هؤلاء الشمامسة يقومون بأعمال لا يستطيع الكاهن أن يقوم بها".

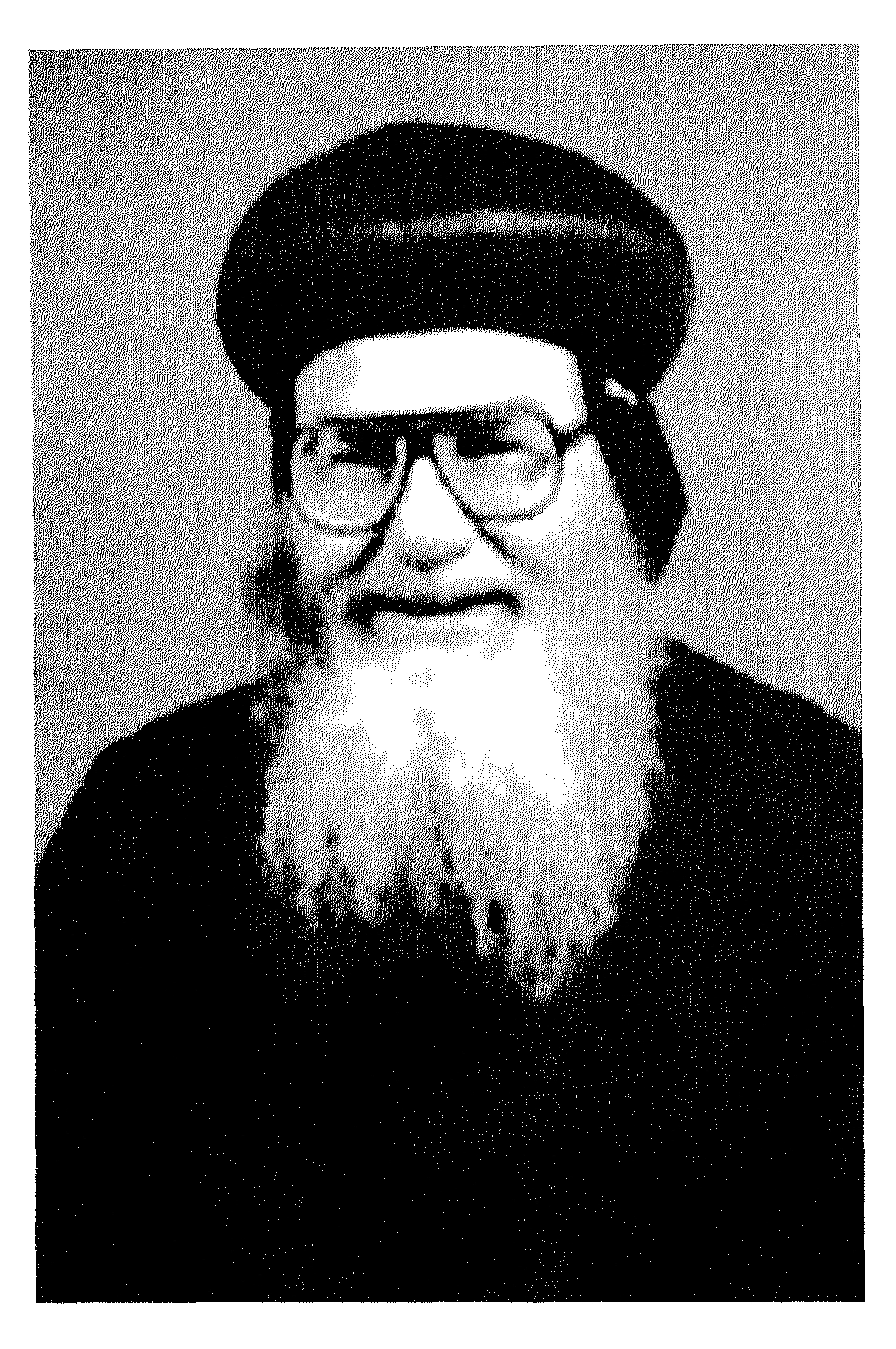
ما هى أهم أعمال هؤلاء؟ بعد ما قام بعض محررى جريدة الأهرام الدولى قامت بعض الباحثات الدوليات بزيارة "منزل فيبى House of Phoebe" وهو المنزل المخصص للشماسات تحت أشراف انبا موسى شخصيا.

على اختلاف فى النظام المتبع فى الأديرة لاحظ الزوار أن الشماسات يعيشن فى شقق فى مبنى عادى فى قلب القاهرة ويقمن بمهام مختلفة. بعض أوجه نشاطهن تشمل الكتابة والتأليف والترجمة والأشراف على طبع النصوص الدينية والعمل أمام الكومبيوتر والاتصالات بالكومبيوتر من نفس منازلهن. ويلاحظ أنهن كانوا على اتصال بجهات مختلفة يقمن فيها بالخدمة الدينية. يقدمن نصائح روحية ويقمن بزيارة منازل كثيرة فى المجتمع للنصح والاشاد والتوجيه الدينى على الأخص فى الأحياء الفقيرة التى تستلزم جزءا كبيرا من خدماتهن. تشارك بعض الشماسات فى مشروعات يقوم بها المجتمع المسيحى مثل عمل مصانع غزل للفتيات لمعونة الفقراء والمساهمة الفعالة بوسائل كثيرة لمساعدة السيدات

الفقيرات على الأخص الأحداث ولايجاد مصادر للدخل لهن. انهن دائبات العمل لأداء وسائل كثيرة وجديدة للمساعدات التى تقدم لأسر كثيرة.

ولاحظ الزوار أيضا أن هناك تشجيعا مستمرا من الادارة الكنسية على أن تدرس تلك الشماسات وسائل التدريب وترسلهن الكنيسة حتى خارج مصر لكى يتعلمن وسائل كثيرة للتدريب واكتساب المهارات. أحس الزوار بوضوح مدى تصميم الشماسات ليقمن بخدمات متواصلة للمجتمع المسيحى وحضور اجتماعات متواصلة. هذا النظام للحياة يختلف تماما عن نظام الحياة فى الأديرة فالراهبات هناك يوجهن نشاطهن أساسا إلى هدف آخر هو العبادة والصلاة وليست موجهة فى قاعدتها للخدمات الاجتماعية- الشماسات جزء من العالم الخارجي إلى آخر درجاته. حتى فى أثناء تناول الطعام يتبادلن الحديث عما نشر فى الصحف اليومية وعن العوامل التى تستلزم الخدمات وأحيانا يحضر الغذاء معهن أحد الآباء الكهنة ليناقش مع الشماسات عن خدمات لازمة.

قرر بعض الزوار أن متوسط أعمار الشماسات المكرسات هو بين ٢٥ وثلاثين سنة. ومن الشماسات بوجه عام حاصلات على درجات عالية من التعليم وأن لدى الشماسات تخصصات مختلفة على الأخص فى اللغات العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية مما يساعد على القاء محاضرات مختلفة لزوار الكنائس من دول مختلفة. وعلى أى فتاة تطلب الانضمام أن تقضى على الأقل خمس سنوات فى الدراسات الدينية ويلبسن ملابس لونها بيج أو وردى فاتح قبل أن



نيافة الأنبا موسى
أسقف الشباب

يصبحن بدرجة مساعدة الشمامسة وبعد خمس سنوات أخرى تصبح شماسة مكرسة كاملة اللقب وعندئذ تحصل على اسم جديد يجعلها مختلفة فى ماضيها وحاضرها.

يوجد عدة قوانين مذكورة فى كتاب التقديس الذى يستلزم احترامها تماما وكتب فيه هذه القواعد التي أقرها المجمع المقدس سنة ١٩٩٢ برئاسة صاحب القداسة البابا شنودة الثالث. لم تكن أى الشماسات حاضرة عند دراسة هذه القواعد أو تحديدها. وقد ذكر صاحب النيافة الأنبا بشوى سكرتير المجمع المقدس أن جميع الأساقفة ملمون كل الألمام بالنظام الكنسى لرسامة الشماسات وما تستلزمه الكنيسة منهن وأن عددا من الأحبار الأجلاء قمن برسامة بعض الشماسات فى دوائر اختصاصهم. وقد ذكرت تاسونى فيبى (كلمة تاسونى معناه الأخت) أن لهذه القوانين والقواعد أهمية كبيرة تلزم كل شماسة باحترامها تماما فى جميع الكنائس. ولكن حتى الآن نجد أن بعض الأباء الكهنة كبار السن لا يعرفون تماما جميع هذه القواعد الخاصة بالشماسات.. ولكن المعرفة تزداد وعدد الشماسات دائم الزيادة. وتوجد أعداد كثيرة من الفتيات يتقدمن كل يوم ليبدين الرغبة فى الالتحاق بهذا النظام إلى تاسونى فيبى التي ذكرت أنه لو كان هناك مكان كاف يتصاعف عدد الشماسات فورا. هناك فتيات فى قائمة الانتظار وصالحات تماما للخدمة والقيام بهذه المهام وترحب كنائس كثيرة بهن. أدى الكثيرات من الطالبات الاعترافات اللازمة آباء الاعتراف قبل أن يسمح لهن بالانضمام أو التقدم. ومعنى ذلك أن عددا من الأباء قبلن الشماسات من

حيت المبدأ وقبلت الفتيات نظام الحياة الذى تستلزمه المسئوليات الملحقة. مثل هذه الفتيات ينتظرن بفارغ الصبر أن يأتى لهن الدور لتكرار العبادة "أنا مكرسة لخدمة الكنيسة".

وقد وجه سؤال إلى نيافة الأنبا موسى.. هل من العدالة أنه بالرغم من كل ما تقوم به الشماسات المكرسات أن تكون خاضعة لأوامر الكاهن لأنه أعلى منها فى الدرجة الكنسية، أجاب نيافته المسألة ليست من هو أعلى أو من هو خاضع. إنها خدمة روحية ومن أراد أن يكون ابنا أو أبنة للرب يجب أن يكون خادما للجميع.. لقد قام رب المجد بغسل أقدام التلاميذ وهم من مخلوقاته. وعلقت تاسونى فيبى على ذلك بالقول "أن هذا الموضوع لا يخطر إطلاقا بذهن الشماسات". حقا قد تقوم الشماسة بأعمال فائقة ولكنها لا تفكر أبدا فى الكنيسة القبطية أن تصبح كاهنا كما أن الكاهن لا يفكر أن يصبح أسقفا. ولا يستطيع الكاهن أن يستلزم القيام بما تقوم به الشماسة المكرسة. ليست المسألة للقوة أو السلطة بل للخدمة. ولكل منهم مسئوليات عظمى له أهميته فى المجتمع المسيحى. إن للشماسة المكرسة بعض السلطات فى شئون المرأة فى الكنيسة ومنح مسئوليات للسيدات الصالحات للعمل. لا ينبغى على الشماسة أن تفكر فى نفسها أكثر من أنها خادمة أمينة لرب المجد. وسواء كانت راهبة أو شماسة مكرسة فهى لا تفكر فى مجد اليوم ولكن أن تكون فى نور الغد.

وذكر الانبا بشوى سكرتير المجمع المقدس أن الشماس المكرس يمكن أن يتزوج وأما الشماسة المكرسة فليس ذلك من

حقها لأنها تعتبر كالراهبة زوجة روحية للسيد المسيح. الشماس المكرس يمكن أن يعفى نفسه من بعض المسئوليات إذا كان لديه أطفال وعليه مسئوليات نحو الزوجة ولكن الشماسة المكرسة لا تستطيع ذلك. قال نيافته لا تستطيع الشماسة أن تعطى مسئولية أطفالها لأى شخص آخر لأنها شماسة. ولهذا لا يسمح لها بالزواج. لهذا يجب أن تكون الشماسة إما فتاة عذراء أو زوجة أرملة بدون أطفال.

قال أنبا بشوى إن بولس الرسول لم يسمح للمرأة أن تقوم بتعليم الرجل أو أن يكون فى موضع رئاسة بالنسبة له وهذا يفسر لماذا تسير الكنيسة القبطية على نفس التقليد بأن تقوم الشماسات فقط بتعليم الفتيات والأطفال. رفض نيافته الاعتراض بأن بولس الرسول ذكر ذلك فى حدود الكنيسة فقط وأكد الحبر الجليل أن القصد هو الحياة الاجتماعية كلها. الكنيسة ليست مجرد مبنى ولكنها مجتمع للمؤمنين.

ورغم كل ما تقوم به الشماسات المكرسات من خدمات كنسية واجتماعية فإن تاسونى استر قالت إن نطاق الخدمات لم يكتمل حتى الآن. تاسونى أستر طبيبة بشرية وأصبحت من أوائل الشماسات المكرسات للخدمة سنة ١٩٨١ وحصلت على درجة الماجستير فى اللاهوتيات وفى سنة ١٩٨٤ حصلت على ماجستير فى الطب الوقائي من انجلترا. وتطوعت بالذهاب إلى كنيا حيث قضت عدة سنوات ساعدت فيها على تطوير سبل الخدمات الكنسية ومع ذلك أكدت بأسلوب اليقين أنه لا يزال الطريق طويلا أمام المكرسات لدراسة سبل جديدة للخدمة فى المجتمع. تحدثت تاسونى استر طويلا عن مجالات الخدمة فى

افريقيا ومحاربة الكراهيات القائمة بين قبائل المنطقة. اقترحت أثناء حديثها تشجيع تبادل الخدمات الروحانية بين مصر والمناطق الافريقية التى تستلزم الكثير من التضحية بما فى ذلك أغلى ما يملك الانسان التضحية بالذات. وللأسف لا يزال عدد المكرسات قليل جدا لما نطمع فى أدائه رغم أنه لا نهاية للحاجات الكبيرة للخدمة. الفعلة قليلون. إن التحدى للفتيات عظيم لكى يتقدمن فى غير تردد ولمن يمدون المساعدات المالية أن يعطوا أكثر للرب. ليست مهمة الشماسات المكرسات محدودة ولاهى ضئيلة ولكنها غير معروفة حتى الآن بدرجة كافية. إن الصورة متكاملة فقط فى أذهان آبائنا الأساقفة الأجلاء. إن أبوابا كثيرة جدا يمكن أن تفتح للخدمة ولا يملآها إلا الشماسات المكرسات. ولا يمكن التنبؤ عن مدى الحاجات البشرية. ليس هناك حدود لما يمكن للكنيسة القبطية أن تقوم به من خدمات ولا يكفى لقيادتها أسقفية أو اثنين.

استجابة لهذا الرجاء تكون تجلس أعلى من جميع المطارنة والأساقفة الذين رسموا أو قبلوا شماسات مكرسات فى مناطق اختصاصاتهم. والهدف من هذا التكوين الأعلى من الاساقفة هو النظر فى وسائل توسيع الفرص للاستفادة من نظام الشماسات المكرسات واعداد وسائل الأمان لهن. قال نيافته لقد سجلت الأماكن للمكرسات فى منطقتى كجزء من الاسقفية حتى لا يستطيع أحد بعض انتقالى إلى جوار الرب أن يطرد الشماسات المكرسات من مكان معيشتهم. للأسف ليست كل الأسقفيات لديها الدخل الكافى أو حتى مجرد الارادة

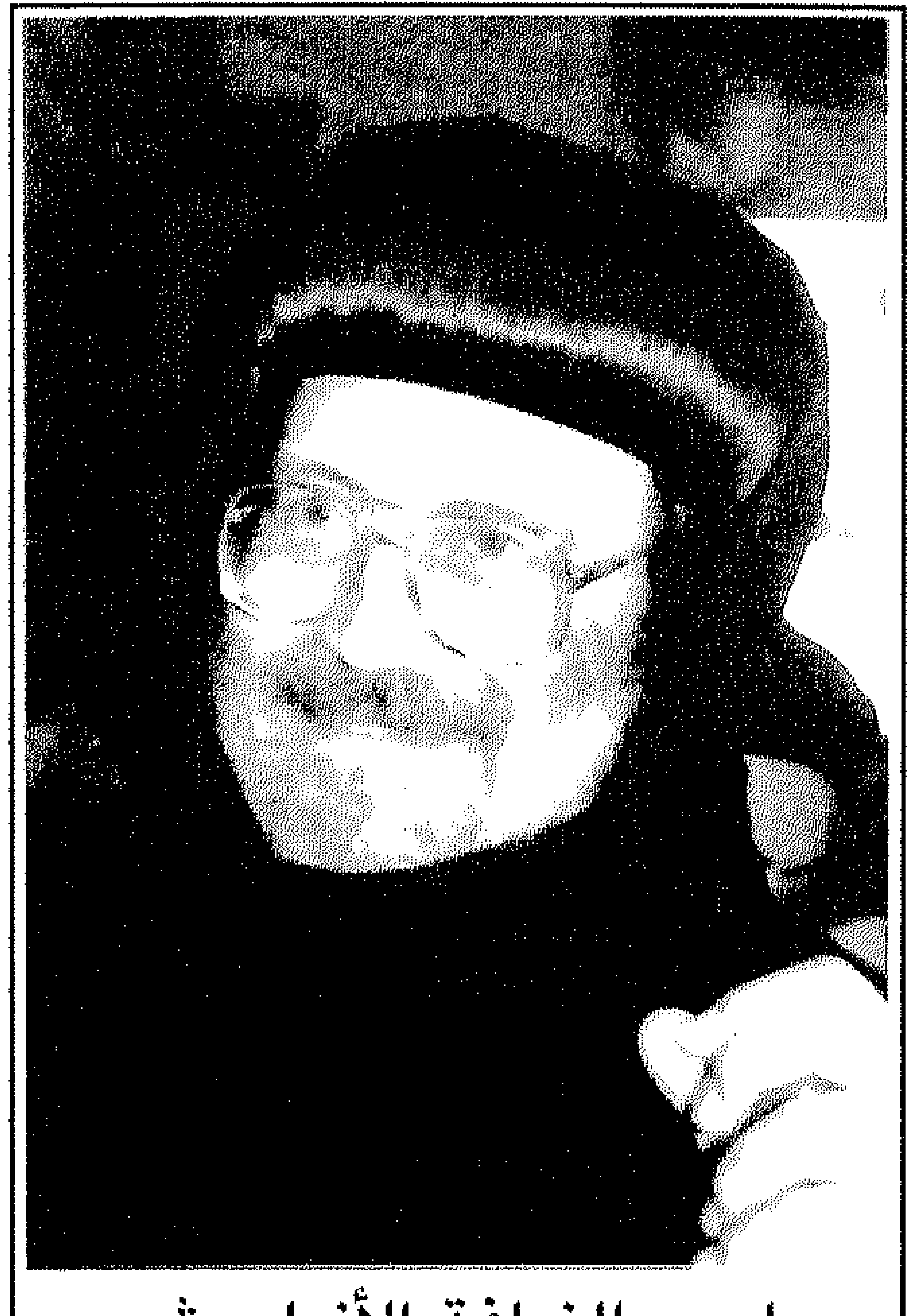
للاحتفاظ بهن بعد حياة كل منهم. وليس هناك ضمان أن تترك مكرسات بعد حين مسئولية إدارة شئونهن بأنفسهن.

أخذ الانبا اثناسيوس مطران بنى سويف سبيلا آخر لحماية الشماسات المكرسات أن يعتبر الشماسة المكرسة راهبة مع تعديل بسيط فى المهام الخاصة للمكرسات. مكان حياة المكرسات أصبح يطلق عليه كلمة دير وبذلك أصبح للشماسات الحق فى التصرف فى جميع إيرادات الدير وأن يكون عليهن أيضا مسئوليات إيجاد الوسائل لزيادة الدخل. لقد أصبح للشماسات كل المسئولية المالية والاجتماعية واختيار الخدمات الممكنة ويمكن تأديتها على أحسن نطاق. وفى سنة ١٩٦٥ سمح للراهبة يمكن أن تخدم المجتمع وتقوم بكل خدمات الشماسات المكرسات. وأن تكون الراهبة الشماسة مسئولة فقط أمام رئيسة الدير وليست للأسقف أو لأى شخص آخر يشرح الأنبا أثناسيوس أن نظام الراهبات العاملات بهذا الوضع يعطيهن ضمانا وطمأنينة ولا تتوقف على الأسقف. أنهن راهبات ومسئوليات أمام إدارة الدير فقط. فإذا انتقل الاسقف إلى الملكوت سوف لا يجزع أو يخاف المكرسات لأى تغيير فى الإدارة الخاصة بالدير. كل منهن تعرف أنها راهبة وستبقى راهبة دائما

وقالت "تاسونى أجابى Agapi" وهى من أولى الراهبات العاملات فى دير بنى سويف إن الانبا كيرلس السادس عندما وافق على هذا النظام قال أن الراهبات الأقباط فى ذلك العهد لم تكن لديهن الوسيلة للجمع بين الرهبنة والعمل للخدمة ولذلك تحول ثمانون فى المائة منهن إلى الكاثوليكية لأداء هذه

الخدمات فى دير كاثوليكي. وهذا يوضح أن مثلث الرحمات البابا كيرلس السادس كان يؤيد فكرة الراهبات العاملات.

الفارق الوحيد بين الراهبات العاملات وبين الشماسات المكرسات هو فى نوع العمل فى بنى سويف تخصصت الراهبة العاملة فى بنى سويف فى خدمة الفقراء والمحتاجين والأفراد الذين يعيشون على هامش الحياة دون اعتبار للجنس أن كانوا من الرجال الكهول أو السيدات من أى عمر أو دين. أنهن يقدمن الخدمة لكل من يحتاج لها مسلمون أو اقباط.


صاحب النيافة الأنبا بيشوي
سكرتير المجمع المقدس

قالت تاسونى أجابى "أننا نخدم الحاجات الاجتماعية للفقراء والمرضى". أيد ذلك صاحب النيافة أنبا اثناسيوس أننا نخدم المحتاجين مهما كانوا عملا بما قام به رب المجد من خدمة للسامرية والسامريين. هذا الوضع يجعلنا أن نكون دائما على استعداد كل المصاعب الاجتماعية سواء مالية أو دينية أو اجتماعية كالخلافات الزوجية. هذا المركز للخدمات العامة هو المكان الوحيد فى مصر كلها الذى يقوم بهذه الخدمات العامة.

ليس هذا النظام هو المعمول به فى أديرة مصر. قال أنبا موسى أسقف الشباب أن الأديرة غالبا موجودة فى الصحراء فليس من مهامها القيام بالخدمات الاجتماعية. ويذهب أنبا بشوى أيضا إلى أن النظام المتبع فى بنى سويف نظام خاطئ. ليس من الممكن اعتبار هذا الموقع كأحد الأديرة لأن هناك قواعد شاملة تحدد نظام الحياة فى الأديرة وأن يعترف بها كأحد الأديرة الرسمية للكنيسة. لماذا يمكن رسامة المرأة كراهبة نسائية فى حين أنها لا تقوم بعمل الراهبة بل كخادمة اجتماعية كنسية. أن عمل الراهبة فى الدير يختلف عن عمل الراهبة العاملة فى بنى سويف وهذه تختلف عن عمل الشماسة المكرسة. الحل الوحيد أن يطلق على الراهبة العاملة الاسم الصحيح وهو "شماسة مكرسة" بدلا من راهبة. إن التقليد الذى يسير عليه ذلك الدير فى بنى سويف لا يتفق مع التقليد القبطى لقرون طويلة. يجب على الانبا أثناسيوس أن يصدر أوامره لتغيير اللازم. ولكن سوف نناقش هذه المسألة في فصول تالية في شيء من التفصيل.

لا شك أن حياة الشماسات المكرسات تختلف تماما عن الراهبات اللاتى أخترن أن يقبعن فى كهوف أو صومعات صغيرة فى داخل الأديرة بهدف التفرغ الكامل للعبادة والصلاة. وليس لهن اتصال كبير مع العالم الخارجى. الشماسات المكرسات جزء من العالم الخارجى وقد يهبطوا فى جهودهم إلى أدنى درجاته الاقتصادية لمساعدى الأسر الفقيرة. بل وقد يقومون بالبحث اليومى فى ثنايا الصفحات فى الصحف اليومية والمحلية لمعرفة الطريق إلى بعض الشقوق

التى ينفذون منها إلى عالم الفقر والعدم وبذلك يقدمون المساعدات اللازمة لمن يستحق.

فى منزل فيبى يوجد بين ٢٥، ٣٠ شماسة مكرسة أو تحت التدريب لهذه الخدمات. جميع هؤلاء من الحاصلات على الشهادات العليا وتخرجوا من الجامعات فى تخصصات مختلفة. تقضى طالبة الالتحاق حوالى خمس سنوات للتدريب ويلبس ملابس رمادية قبل أن ترشم رسميا كشماسة مكرسة. ويعطى لها اسم آخر. وبعد خمس سنوات أخرى يقوم الأسقف برسامتها كشماسة مكرسة.

هذه هى القوانين التى أقرها المجمع المقدس فى وجود صاحب النيافة البابا شنودة الثالث. عند وضع هذه القوانين الخاصة بنظام الشموسية المكرسة للسيدات لم تكن هناك امرأة واحدة مدعوة للحضور أو الاشتراك فى المناقشة على اساس أن الغرض صحيح وهو أن الآباء الأساقفة يعرفون الكثير عن الحياة الاجتماعية السائدة وأحوال المجتمع الكنسى. على أى حال نحن نطيع جميع القوانين الموضوعة لنظام الشماسات المكرسات ونعتبر أن هذه القوانين هى الأساس الرئيسى لحياتنا الروحية كشماسات كرسن حياتهن لخدمة الرب مدى الحياة.

وتقول تاسونى فيبى إن منزل الشماسات لا يمكن أن يتسع لقبول جميع الذين يرغبون أن ينضموا لهذا النظام. وهناك أعداد من الفتيات اللاتى يرغبن فى الانضمام والتطوع مدى الحياة. هناك قائمة أنتظار طويلة ونحن ننصحهن أن ينضموا للخدمة فى جهات أخرى. وقال فتاة تود الانضمام

يجب أن تحصل على موافقة أب اعترافها ونصائحه قبل أن تتقدم للتطوع. ومن الواضح أن آباء كثيرون يلمون كل الالمام بنظام الحياة للشموسية المكرسة والقواعد التى اعتمدها المجمع المقدس. لا ننكر أنه رغم ذلك يحاول بعض الآباء أن يثنوا بعض الفتيات عن عزمهن نظرا للصعوبات الشديدة المفروضة على المتطوعات. أول عبارة تقولها الراغبة فى التكرس. كما قالت تاسونى فيبى هي "إنى مكرسة لأخدم الكنيسة مدى حياتى". وإذا تذكرنا أن الكاهن أعلى فى الدرجة الكنسية فإن التطوع معناه أن تكون الشماسة المكرسة خادمة للكاهن وخاضعة لأوامره. يقول أنبا موسى أسقف الشباب إن المسألة ليست من هو السيد أو من هو الخادم. ليس المسألة هى السلطة أو السيطرة ولكنها الخدمة. وقالت تاسونى فيبى " لايخطر فى ذهننا إطلاقا مسألة المساواة مع الكهنوت. إن هذه المسألة ليست إطلاقا على قائمة التفكير. إن مجرد قبول المتطوعة لأن تكون شماسة مكرسة شرف كبير وتحقيق فى الحياة بالغ الاهمية. صاحب النيافة الأسقف فى كل منطقة يتداول مع الكهنة عن برنامج العمل الذى تقوم به الراهبات لتفنيذه حسب أهمية أى مشروع للكنيسة. وعادة يناقشون البرنامج مع المكرسات لمعرفة مدى ما يستلزمه أى منهم للعمل وما يتطلبه من استعدادات أو آلات أز زمن أو وسائل اتصالات. هذا يوضح أن النظام مختلف عن ما تقوم به الراهبات.. لدى الشماسات حرية فى التعبير والاختيار ومناقشة وسائل التنفيذ.

إن الحاجة الماسة للشماسات المكرسات الأقباط فى أنحاء كثيرة من العالم تستلزم تشجيع الفتيات - للتطوع السريع لمقابلة هذه الحاجة. أفريقيا قادرة متسعة ولكل منها مشكلات تحتاج ليس فقط إلى كنائس بل أيضا إلى الشماسات العاملات فى خدمة الرب.

ليس نظام الشماسات الراهبات ظاهرة جديدة فى الحياة الكنسية وكانت دائما هناك حاجة إلى خدماتهن. وفى بركات الرب أن الشماسات كن دائما على مقربة من الأسقف لتلقى تعليماته. إلا أن بعض الأساقفة حتى الآن يرفضون هذا الوضع على اعتبار أن الأسقف الراهب ينبغى أن يكون بعيدا عن كل امرأة. تدريجيا هذا الاتجاه فى سبيل التغيير لأن القانون الذى أصدره المجمع المقدس ينص على أن الشماسات المكرسات يجب أن يكن فى خدمة الكنيسة والعمل بكل طريقة لأمانها وتحقيق الخدمات التى يراها الأساقفة.

وفى المؤتمر السنوى الأخير الذى عقد فى القاهرة برئاسة قداسة البابا شنودة الثالث نوقشت مسائل كثيرة متعلقة بحياة الشماسات. وذكر فى المؤتمر أن بعض الأساقفة لا يعترفون بمسئولياتهم المالية التى تستلزمها الخدمات التى يقمن بها أو بمشكلات حياتهن. فى حالة معينة استلزمت احدى الشماسات إجراء عملية جراحية لها وإذا بالأسقف يقول "لتذهب إلى اسرتها لتصرف عليها" ورفض أن يدفع المصاريف للعملية وفى حالة أخرى رفض الأسقف أن يعطى الشماسة المكرسة مكانا للعمل أو إعطائها أى دعامة تساعدها على أداء خدماتها. وأجاب صاحب النيافة الأنبا بشوى بأن

هذه الملاحظات أحيلت مباشرة إلى المجمع المقدس للنظر فيها وأتخاذ القرارات اللازمة. بناء على ما رآه المجمع المقدس تكونت لجنة دائمة من بعض الأساقفة للنظر فى كل ما يتعلق بهذا النظام ومشاكله. وكتبت اللجنة إلى كل أسقف أو مطران لديه عدد من الشماسات بتعليمات خاصة تحمل قوة المجمع المقدس. إن نظام الشماسات لا ينبغى أن يترك دون قوة الزامية تلازمه ولا يجوز لأى سلطة أن تستغنى عن خدماتهن فى ظروف خاصة مهما كانت. ومع ذلك ليس لدى بعض الأساقفة على الأخص فى بعض جهات الصعيد الموارد المالية اللازمة لتغطية كل لوازم العمل الانتاجى والخدمات اللازمة. ولهذا تطالب الشماسات أن تكون الميزانية المالية للنظام موضوعة فى ايديهن بأشراف ضامن للاستمرارية وامتداد المساعدات من جهة إلى أخرى إذا كانت الحاجة تقضى بذلك. بالاضافة إلى ذلك ينبغى أن تكون هناك صلات متبادلة سواء مالية أو إدارية بين نظام الشماسات وبعض الأنظمة الأخرى مثل نظام الراهبات العاملات الذى سوف نتحدث عنه فى فصل تال فى هذا الكتاب. ورغم كل ذلك ليس هناك ضمان أمنى كاف لهذا النظام فى بعض الأسقفيات.

وهناك ناحية أخرى يشير إليها الشماس المكرس ثابت منصور بأنه ليس هناك لجنة اقليمية للاشراف على هذا النظام بدقة. قال أنا مثلا مضطر أن أعمل كل صباح حتى يكون لى مورد مالى للحياة وأعمل بقية النهار وأجزاء طويلة من الليل لخدمة الكنيسة. ومعنى ذلك أنه ليس هناك مورد مالى ثابت للشمامسة أو الشماسات الكرسين. أحيانا أحس

باختناق شديد لأنى لا أضع كل وقتى لخدمة الكنيسة. ورغم ذلك يعتقد الأنبا موسى أسقف الشباب أنه رغم ذلك فإن الخدمات العتيدة التى يقوم بها الشمامسة المكرسين خدمات مهمة ولازمة وتعود بفوائد جليلة على المجتمع الكنسى. هذه العبارة لا تعطى ضمانا كافيا لاستمرارية النظام ودوام نجاحه. ولكن الكنيسة غير متخوفة إلى هذا الحد فقد صارعت الكنيسة مع الزمان للبقاء والخدمة الروحية عبر العصور بكل تقاليدها الخالدة..

الفصل السادس

بنات مريم: الراهبات العاملات

هذا الفصل يتحدث عن نظام جديد للرهبنة أنشأه مثلث الرحمات صاحب النيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف السابق. ليس هذا النظام رهبانى كامل فحسب وليس هو شماسات مكرسات يقمن بزيارات للبيوت والمحتاجين أو للتعليم فى الخارج ولكنه يشمل الرهبانية الكاملة بكل ما تستلزمه من عبادات وصلوات ولكنهن أيضا يعشن فى مبنى خاص يشمل آلات وألات للعمل المهنى وبهذا يجمعن بين نظام الرهبنة الكامل والانتاج المهنى والتعليم المهنى فى داخل المبنى المخصص لهن فقط ولاستقبال اليتامى والأرامل والفتيات اللاتى يسعين إلى التعليم لأحدى المهن التى تساعدهن على الحياة الكريمة وتحفظهن من الانحدار إلى دين آخر سعيا وراء الرزق أو تحت الاغواءات. وفى سبيل تحقيق هذا الهدف بنى نيافة الانبا أثناسيوس مبنى كبير يسمح بتحقيق الجمع بين الرهبنة والعمل وأطلق عليهن بنات مريم. أنشئ هذا النظام قبل وفاة القديس البابا كيرلس السادس الذى أعطى موافقة شخصية على هذا النظام.



مثلث الرحمات الأنبا أثناسيوس
مطران بني سويف والبهنسا

هذا النظام يختلف عن الراهبات العاملات الكاثوليك لأن النظام الكاثوليكي أشبه ما يكون بالشماسات المكرسات من حيث الذهاب إلى البيوت ومراكز الخدمة الاجتماعية ولكن نظام بنات مريم يشكل كل شئ فى داخل نفس المبنى بما فى ذلك مدرسة ابتدائية وأخرى صناعية للبنات وحديثا مدرسة ثانوية فى نفس المبنى. وكل ما تقوم به الراهبات لا يتعارض مع كل ممارسات العبادة والصلاة والصوم.

بهذا النظام الجديد أصبح أمام المرأة طريق رابع للخدمات الروحية.

١- الطريق الأول هو الزواج والقيام بالخدمات الدينية اللازمة فى حدود طاقاتها.

٢- الطريق الثانى هو الرهبنة الكلية طوال الوقت.

٣- الطريق الثالث هو نظام الشماسات المكرسات الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق.

٤- الطريق الرابع يجمع بين الرهبنة والعمل فى دائرة المبنى المخصص للاقامة والعمل.

لم يعترف المجمع المقدس بهذا الدير حتى الآن لأن الأحبار الأجلاء يخشون أن يعوق العمل ومسئولياته الراهبات عن العبادة الكاملة المطلوبة من الراهبة. فى عرف بعض أعضاء المجمع المقدس العبادة هى كل شئ وكل الوقت. ولكن المرحوم أنبا أثناسيوس قال عدة مرات أن كل راهب يجب أن يخدم الكنيسة. والكنيسة ليست مجرد مبنى ولكنها مجتمع بأكمله.

إنها ليست الكاهن ولكنها تشمل الشعب بكل ما يحتـاج إليـه من حاجات روحية وسيكولوجية. عـلى الكنيـسة مـسئوليات ضخمة يجب أداؤها ولا يستطيع الكاهن بمفرده أن يقوم بها. إن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلـون. تـستطيع الراهبـة أن تعرف كيف تصل إلى المرأة وهى نصف المجتمع. مـا أحوجنـا إلى راهبات عاملات. الراهبات أيضا ملائكة لخدمـة الـرب. إن خدمة الكنيسة والمجتمع الكنسى هى خدمة للرب لأن الكنيسة هى بيت الرب.

تولى منصب المطرانية فى بنى سويف أكثـر مـن أسـقف واحد بنفس الاسم أنبا أثناسيوس. ولهذا يجدر بنـا أن نـذكر شيئا عن الاسقف الذى أنشأ نظام الراهبات العـاملات بنـات مريم العذراء.

صاحب النيافة الانبا أثناسيوس مطران بنى سويف مـن مواليد سنة ١٩٢٣ وتمت رسامته أسقفا على بنى سويف سنة ١٩٦٢ وظل فى هـذا المنـصب حتـى سـنة ٢٠٠٠م. ونـشأ فى حداثته كما كان قداسة البابا شنودة الثالث فى ظلال مـدارس الأحد التى كانت تعتبر نهضة كنسية فى مصر. وقد اثرت هـذه التربية الدينية حتى أنه أختار الرهبنة وظل راهبـا حتـى تـم اختياره اسقفا سنة ١٩٦٢.. وكتب عنه كورنيليس هولـسمان Cornelis Hulsman رسالة الدكتورة سـنة ٢٠٠٢ بعنـوان نهضة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ذكر فيها كل مشروعاته الجديدة ومن أهمها "بنات القديسة مـريم العـذراء". وكتـب عنه الدكتور موريس أسعد السكرتير السابق لمجلس كنـائس

الشرق الأوسط إن للأسقف أثناسيوس شهرة خاصة بسبب محاضراته الأسبوعية فى بنى سويف وكان يحضرها كل أسبوع عدة مئات من الشعب. وحينما ذهب فى أى مكان فى أنحاء أسقفيته كان يزور الفقراء والأغنياء. كان يتعمد أن يزور أفقر الفقراء. فى الواقع كان يزور كل منزل قبطى على الأقل مرة فى السنة حتى أعجزه المرض فاكتفى بزيارة كل كنيسة فى كل قرية أو مدينة فى اختصاصه.

ولما قرر الرئيس السادات أن يبقى قداسة البابا شنودة الثالث فى أحد الأديرة سنة ١٩٨١ تكونت بأمر من المجمع المقدس لجنة بابوية لرعاية شئون الأقباط واحتياجات الكنائس المختلفة فى أنحاء مصر. كانت هذه اللجنة تقوم فقط بالخدمات الروحية ولكنها لم تتدخل إطلاقا فى حكم الكنائس أو الأبروشيات. وكان الأنبا اثناسيوس عضوا في هذه اللجنة.

ولما عاد قداسة البابا شنودة الثالث إلى منصبة فى القاهرة فى يناير ١٩٨٥ كان هناك خلاف بينه وبين أنبا اثناسيوس. استمر الخلاف بينهما أكثر من أربع عشر سنة. في أبروشيته. فى خلال هذه المدة كان أنبا أثناسيوس دائم الخدمة فى حدود مطرانيته بدرجة غير مسبوقة. ومثال ذلك أنه عندما عين أسقفا كان هناك ٦٢ كنيسة فقط وعند نهايته كان هناك ١٣٠ كنيسة. هذا بالاضافة إلى أنه خلق نظام الراهبات العاملات وعين شماسات مكرسات وبنى عدة مراكز للخدمات الكنسية فى نواح كثيرة وكانت العلاقات الدينية مع الجالية الإسلامية على أحسن حال لأن الراهبات والشماسات كن

يخدمن جميع الفقراء مهما كانت ديانتهم. كانت أوامره أن يخدم السامرى واليهودى على السواء. هذه هى المسيحية التى لا تفرق بين أى شخص وآخر من أى الاعتبارات.

هكذا كانت الراهبات العاملات يمارسن عدة مشروعات اجتماعية فى حدود مراكزهن الرهبانية على أساس أنها "خدمة للرب". شملت هذه الخدمات عيادات طبية ومستشفى ومركز العناية بالأطفال حديثى الولادة وكان الأطباء المتطوعون للخدمة يتجولون بسيارات اسعاف وأحضار المرضى. كما كانت هناك مدرسة ابتدائية وأخرى مدرسة مهنية للسيدات، ومراكز للتدريب المهنى. وقسم للأطفال أو البنات التى لديهن انحرافات عقلية أو مرضية أو لديهم نقص فى القدرات الفيزيقية. ومركز للعناية بالكهول الذين يحتاجون إلى عناية. وكانت هناك عناية خاصة بالفقراء والمعوزين وحماية للبنات اللاتى ينقصهن العناية الروحية.

لهذا كله كانت هناك فوارق كبيرة بين أديرة الراهبات اللاتي تقمن بالعبادة فقط وبين الراهبات العاملات اللاتى يستخدمن كل دقيقة بالاضافة إلى العبادة فى خدمة المجتمع الكنسى. خدمة الفقراء واليتامى التى سماها القديس يعقوب فى رسالته إنها الديانة الحقيقية. هناك فارق بين الراهبات القابعات فى الكهوف أو الغرف للصلاة فقط. وبذلك يحصرون أنفسهن فى دائرة صغيرة للحياة. فى حين أن الراهبات العاملات اللاتى يضعن الأيدى بعض الوقت لخدمة الفقراء والمرضى والمحتاجين روحيا وماديا ويصلون كل يوم ليس

فقط من أجل أنفسهن بل للعالم وللكنيسة. ويجدر الاشارة أن جامعة كولومبيا قد نشرت كتابا عـن هـؤلاء الراهبـات سـنة ١٩٩٥ من تأليف الـدكتورة دورن هـاردر Doorn Harder والدكتورة بترنلا Pieternella وعنوانه "الراهبات الاقباط فى العصر الحديث Contemporary Coptic Nuns".

وعلى سبيل المثال نذكر هنا واحدا من المشروعات الهامـة التي تقوم بها الراهبات العاملات بنات مريم في بنـي سـويف وهو مشروع صديقات الكتاب المقدس.

الفصل السابع

صديقات الكتاب المقدس في بني سويف

نظرا لأهمية هذا المشروع الذي لا يطلق عليه اسم ملجأ ولكن الاسم المستعمل هو صديقات الكتاب المقدس. يشمل هذا المعهد حاليا بين ٢٥ وثلاثين فتاة من أعمار مختلفة تتراوح بين الطفولة ٦ سنوات وخريجات المدرسة الثانوية. .يرأس هذا الملجأ راهبة عاملة اختارها القديس البابا كيرلس السادس بنفسه تاسوني "ايلاريا" كراعية لهذه المؤسسة مع راهبة أخرى. جميع البنات يتحدثن مع الأخت ايلاريا على أنها أم حقيقية لهم وينادونها "ماما".

تخيل موقف هذه الأم وهي تحس بمسؤولياتها نحو كل واحدة من هذه الفتيات كما لو كانت ابنة حقيقية لها. إنها مسؤولة عن الإشراف على الغذاء ثلاث مرات يوميا وتشرف على الملابس والناحية الصحية لكل بنت. أحيانا تستلزم ذلك استدعاء الطبيب المختص في أي لحظة أو حتى السفر مع إحدى بناتها لعملية جراحية في القاهرة. لأنها مسؤولة أيضا عن مراعاة الحالة الدراسية لكل بنت .. تتحدث إليها وإلى مدرسيها إذا استلزم الأمر وتراجع دفاترهم ودرجاتهم لمعرفة كل حاجاتهن وأي مساعدة أو مدرسات خصوصيات



تاسوني ايلاريا
الراهبة التي اختارها الأنبا كيرلس السادس
وحولت حياة البنات إلى ملائكة المحبة والعمل والنظام

أو عناية خاصة بمواهب كل منهن. وكيف يمكن تنميتها.. هذا كله بالإضافة إلى الناحية الروحية التي تستلزم عناية خاصة وبرامج معينة. كان من بركات الرب أن سمح للمؤلف أن يزور هذا الملجأ مع الراحلة زوجته وبعض أحفاده ومع بعض السيدات الأخريات الأحباء. لقد أعجب المؤلف كل الإعجاب بمدى الجهود الجبارة التي تبذل للعناية بكل فتاة. وفي حديث مع تاسوني ايلاريا حديثا علم المؤلف أنه في خلال هذين الشهرين التاليين سوف يتم زواج اثنتان من بناتها. وكان عليها أن تدرس حالة كل خطيب وماضيه وشخصيته قبل أن تعطي موافقتها أو رفضها له تماما كما لو كانت ابنة حقيقية لها.

وتخيل فوق كل هذا كل الالتزامات المالية الضخمة التي تسمح بأن لا تحس أي فتاة أنه ينقصها شيء في حياتها. التزامات مالية خاصة بالملابس والمواصلات والدراسة والناحية الصحية والشخصية لكل واحدة على حدة. ما أجمل الروح التي مكن أن نراها عندما يلتقي البنات مع الأم ايلاريا. وعندما تتغيب تاسوني لمهمة خاصة تجد البنات يطيعون تعاليمها كما لو كانت أمامهم. وإذا جاءت عضوة جديدة يرحب بها الجميع ويعاونونها لتعرف كل نظام الحياة. كل فتاة تعتبر نفسها مسؤولة عن جمال الموقع وترتيبه. وعندما تدخل أي فتاة من الخارج تقلع حذاءها بجوار الباب وتضعه في مكان مخصص للأحذية. وفي وقت الغذاء تسمع الترانيم الجميلة منطلقة طوال الوقت وتتعاون كل فتاة في الخدمة المكلفة بها. ولما سألت عن مصير كل فتاة بعد هذه الحياة

الطويلة وبعد تخرجها من التعليم الثانوي أو الجامعي أجابت الأم.. هذا هو منزلها لتعيش فيه وتساعد في خدمة اخواتها الصغيرات. روح المحبة سائدة بين الجميع وتلجأ الصغيرات الأحداث إلى الأخوات الكبيرات في ثقة تامة.

هذه صورة سريعة بدون أي مبالغة لنظام الحياة لهذا العدد من الفتيات اللاتي عانين كثيرا قبل الالتحاق بهذه المؤسسة. تحادث المؤلف مع بعض الفتيات لمعرفة تاريخهن. هذه فقدت أبويها وتركاها دون رعيل. وتلك غير الأب دينه إلى دين آخر ولهذا كان يستخدم كل وسيلة للضغط على ابنتيه ليصبحا مسلمات، فهربن إلى الملجأ طلبا للاستغاثة. وهذه هرب الأب أو الأم من الأسرة لأسباب قد تكون أخلاقية. إلى غير ذلك من أسباب أساسية في الحياة. لا يستطيع الكاهن أن يملأ كل هذه الثغرات في حياة البنات ومعنى ذلك أن صداقة الكتاب المقدس هي إنقاذ من السماء وكانت هناك ضرورة شديدة لوجود راهبة أو راهبات لمثل هذه العناية الخاصة. ما أحوج المجتمع الكنسي إلى مثل هذا المشروع في كل مدينة في مصر..

الفصل الثامن

الكهولة والكنيسة

لا يعرف أحد من هؤلاء الشباب ما يمكن أن يحدث لهـذا الجسد الذى يعيشون فيه وينبض نشاطا وقـوة بعـد بـضع سنوات. وعندما يشاهدون رجلا كهلا يكافح فى خطواته يظن كل منهم أن هذا يمكن أن يحدث لأى شـخص آخـر إلا لهـم أنفسهم.

إنها بضع سنوات قلائل حتى يـصلوا إلى نفـس الوضـع الكهولة.

ما معنى الكهولة فعلا. هو تدهور واضـمحلال لجميـع نواحى هذا الجسد الذى يفخر الشباب بعنفوانه وقواتـه وإذا بجميع الحواس تتدهور فالنظر يـضعف تـدريجيا والـسمع يبدأ فى فقد قوته. ليس فقط فى الحواس بل فى عضلات الجسد فيصبح غير قادر على أن يحمل شيئا أو ينحنى ليأخذ شيئا فى طريقه أو حتى أن يحمل نفسه. هل تذكر مـا حـدث ليوحنـا الحبيب الذى كان يطلق عليه ابن الرعد. بعد ما تقـارب مـن سن المائة كان تلاميذه يحملونه وينقلونه كلمـا أراد أن يـزور احدى الكنائس.

وبعد أن كان ذلك الشاب الفتى يقفز ليـساعد ايـا كـان أصبح هو فى حاجة إلى مساعدة حتى للحصول على غذائـه أو

أن يلبس ملابسه.. إنه لا يحمل سوى الآلام فى القيام أو الجلوس أو السير أو تحقيق أى رغبة من رغباته الجسدية. أمراض متوالية وآلام صاخبة وينادى على الرب أنقذنى يا إلهى أنا الخاطئ. أصبح يعترف بخطاياه كلما جاء فى ذهنه خاطر من الماضى- وبعد أن كان الماضى كتلة من النشاط أصبح الحاضر كتلة من الآلام والمصاعب ويتمنى أن يلتقى بساعة الفراق ولكنه رغم ذلك يخشى لحظة الانتقال لأنه يرى الماضى مهما كان كشريط سينمائى يمثل تصرفاته الانسانية. لا يوجد إنسان بلا خطية فعلية أن يصلى ويصلى للغفران والرحمة. أصبح الماضى بغيضا إليه ويتمنى لو تغير أو كان أفضل وكأنه يردد ما قاله الشاعر العربي

إلا ليت الشباب يعود يوما... فأعلمه بما فعل المشيب

فالكهولة إذن تدهور وانحلال وانحدار لا رجعة فيه ولهذا ينتظر الكهل من كل شخص أن يساعده فى أى عمل.. يعتقد خطأ أنه أدى واجبات كثيرة نحو غيره وينتظر أن يقدم الآخرون له كل احتياجاته فإذا صادف غير ذلك تبدا لديه حالة من الحزن والأسف تعترى حياته. حالة من اليأس والانقباض النفسى وهذه الحالة هى من أسوء ما يمكن أن يغمر حياته قبل الفراق.

ماذا تصنع الكنيسة له؟ وأين هم أصدقاؤه، وأعضاء اسرته.. كل منهم عادة مشغولون بمسئولياتهم الشخصية. ويؤدون له بعض المساعدات أحيانا عندما يرونه فى الاجتماعات الكنسية لمجرد لحظات معدودة إلى أن يفترق عنهم ويذهب كل منهم إلى منزله ليمارس حياته اليومية. كل

منهم لديه واجباته نحو أسرته، نحو وظيفتـه وعملـه، نحـو الالتزامات الاجتماعية. وأما هو فقد أصبح على ماهش الحياة. يكون سعيدا لو تلقى مكالمة تليفونية من أحد منهم كل عـدة أيام أو أسابيع.

هذه هى صورة مبـسطة لحيـاة الكهولـة ولا داعـى لأن أتحدث عن حياته المرضية ومـا يـصاحبها فهـذا لـيس مـن أختصاص المجتمع الذى يحيط به أو الأصدقاء الـذين كـانوا دائما يظهرون له كل محبة وتعاطف. أنهـا مـن أختـصاص الأطباء والمختصين سواء فى القلـب أو الكـلى أو الاعـصاب أو الدورة الدموية أو المفاصل أو العظـام أو العيـون أو الآذان .. الخ.

ولكننا نود أن نتحدث هنا عن الناحية السيكولوجية ومـا يصيبها من انحرافات والناحية الاجتماعية وما يلمـسها مـن تطورات على الأخص فى الناحية الدينية. لقد أصبح الآن عاجزا عن أن يخدم الكنيسة ويؤدى لها ما كان يحس به كواجبـات نحوها مدى الحياة.

ولكن الكنيسة لا تزال قائمة وسوف تظل قائمة إلى الأبد. ماذا تستطيع الكنيسة أن تؤدى له من مساعدات هو أحوج ما يكون إليها فى هذه السن.

هناك الكثير جـدا الـذى يمكـن أن تقـوم بـه الكنيـسة كمساعدة ولكن من واجب شعب كل كنيسة أن يفكر فيه لأنه كان عضوا معهم مدى حياتـه الـسابقة. أذكـر هنـا بعـض

الجهود التى يمكن أن تقوم بها الكنيسة لكهولها وهى لا تتطلب شيئا سوى الفكر وبعض الوقت من جانبهم.

١- جماعة الملائكة الزوار

تستطيع الكنيسة أن تكون جماعة من أبنائها من أعمار مختلفة من الذكور والسيدات الذين يسمح وقتهم بأن يضعوا جانبا جزءا من هذا الوقت الثمين لعمل زيارات للكهول لأدخال السرور إلى نفوسهم ولتتاح لهم الفرصة لتبادل الأحاديث وأبناء المجمع الكنسى ومعرفة أخبار كل منهم. يحس فى هذه الفترات الوجيزة أن هناك من لا يزال يفكر فيه. ويدعونه للتعرف عن حاجاته فى الحياة اليومية. إن مثل هذه الفترات تجعله ينطلق من فترات الحزن أو الشعور بالانفرادية والعزلة. كم هو فى حاجة إلى سماع بعض القصص أو العبارات التى تثير الابتسامات بدلا من الحزن. يمكن للكنيسة أن تعد برنامجا للزيارات المختلفة وأفراد مختلفين لهم صلات مختلفة بالماضى والمستقبل ومواضيع تساعده على أن يخرج عن نفسه ويحس أنه لا يزال هناك من يهتمون به.. إنه لا يزال موجودا. وحتى لا يحس أنه تحت ضغط ليقدم لهم بعض الاجتماعيات على المائدة يمكنهم أن يقوموا بذلك فى بساطة ودون شعور بالالتزام من أى نوع.

إن لجماعة الملائكة الزوار أهمية بالغة فى سيكولوجية الكهل وسعادته. يمكن أن يحضروا معهم أحد أفلام الفيديو أو التسجيلات الموسيقية أو العظات الدينية مسجلة إلى غير ذلك وبهذا يستطيعون أن يغيروا من تفكيره ونظام حياته

اليومى الذى لا يخلو من ممارسات روتينية عليها نفس الطابع الانعزالى.

٢ - نظام السيارات الأسبوعية أو الدورية

يمكن الاتفاق مع الادارة المحلية لكل مدينة أن ترسل إليه السيارات الخاصة بنقل العاجزين والكهول إلى المراكز التجارية لشراء حاجاتهم. يوجد هذا النظام مجانا فى كل مدينة تقريبا وسياراتهم معدة لاستخدام المقاعد الكهربائية أو انسكوترز ينزل بها الشخص من السيارة دون جهود خاصة مع شئ من العناية وتعود إليه السيارة بعد فترة معينة تكفى لشراء حاجاته سواء من الطعام أو الملابس أو الهدايا الخ. يمكن للكنيسة أن ترتب مع مجلس المدينة أن تضيف هذا الابن من ابنائها إلى قائمة المحتاجين لهذه الخدمة. ويمكن أن تنقله إلى احدى الحدائق العامة أو المسارح أو الاجتماعات الدينية دون أى تكلفة. إن هذا الرجل أو السيدة كان دائما من دافعى الضرائب للمدينة أو على الأقل أعضاء الكنيسة ومن حقهم أن ينالوا هذه الخدمات فى هذه السن.

وأما إذا كان المجلس البلدى أو مجلس المدينة لا يقوم بهذه الخدمات أو ليس لديه امكانيات من هذا النوع يمكن للكنيسة أن تقوم بهذه المهمة بالتناوب ولو مرة كل أسبوع او اثنين. لا أشك أن هناك أعضاء كثيرين فى الكنيسة يملكون سيارات ويمكنهم أن يساعدوا كهول الكنيسة فى هذه المهمة. يكفى أن تتاح له فرصة ليخرج من منزله ويستنشق هواء جديدا يختلف عن هواء المنزل أو أن يقضى حاجاته للطعام أو

الملابس أو غير ذلك بما فيها بعض الزيارات للأماكن التاريخية أو الاجتماعية أو مجرد النزهة.

٣ - جماعة الرحلات القصيرة

يتبرع بعض أعضاء الكنيسة بأن يدعوا بعض الكهول لرحلة قصيرة قد تمتد في يوم واحد إلى يومين أو ثلاثة إلى مدينة شاطئية على البحر أو جبلية أو حدائقية أو تشاطات اجتماعية معينة تتناسب مع أهداف الكنيسة مثل زيارة أحد الأديرة أو الكنائس الأخرى أو المؤتمرات الدينية، مثل هذه الرحلات يحتاج إليها الكهل بدرجة كبيرة لأنها تدخل السعادة إلى قلبه ليعيش فترات مهما كانت قصيرة فهى تغيير فى نمط الحياة وهي تستحق مهما كانت. ويمكن للكنيسة أن يكون هناك صندوق لمثل هذا النوع من المساعدات للكهول أو الشباب العاجز أو الأطفال. يمكن لبعض الكنائس إذا كانت ميزانيتها أن تشترى سيارة أوتوبيس سواء كانت صغيرة أو كبيرة إذا كانت الكنيسة تملك مدرسة للأطفال يمكن أستخدام هذه السيارة لأكثر من هدف بما فى ذلك الرحلات التى يمكن أن يقوم بها عدد من أعضاء الكنيسة إلى جهات متنوعة مما يساعد على تقوية الروابط الاجتماعية بين أعضاء الكنيسة.

ويمكن طبعا أن تشترك اكثر من كنيسة واحدة لشراء مثل هذه السيارة أو السيارات من أحجام مختلفة وبهذا تصبح كل سيارة فى خدمة أكثر من شعب كنيسة واحدة.

٤ - جماعة المساعدة المنزلية

يمكن أن يتطوع بعض الأعضاء من الكنيسة للتعاون فى تنظيف وترتيب مساكن كبار السن وغسيل ملابسهم وأعداد طعامهم بكميات كافية توضع فى الثلاجة

٥ - عمل ترتيب خاص لتقديم الافخارستيا فى المنازل من يد الكاهن

أى كهل يتمنى أن يتناول من الجسد الطاهر والدم الكريم بقدر ما تسمح به ظروف الأب الكاهن فى الكنائس القريبة.

٦ - ولعل من أهم الخدمات التى يمكن القيام بها مشروع المستعمرة المنزلية

تتعاون كنائس متعددة فى منطقة من المناطق أو ولاية عن الولايات فى بناء مستعمرة سكنية مكونة من عدد من المساكن الملتصقة كل منها مكون من حجرة واحدة ودورة مياه ومطهى بسيط وبإيجار معتدل. مثل هذا المشروع يمكن للحكومة الفيدرالية أو المحلية فى التعاون فى تكاليفه سواء فى الإنشاء أو الإجراءات الشهرية. ولكن الحكومة تشترط أن يكون لها حق التفتيش والملاحظة عليها ولهذا ترى بعض الكنائس أنه لا داعى لهذه المساهمة والاشتراك الحكومى تخطيا للمناوآت. هذه الوحدات السكنية فى داخل المستعمرة الكنسية القبطية يمكن أن تشمل الخدمات التالية

- أن تكون هناك خدمة كنسية كل أسبوع أو إذا تزايد العدد أكثر من مرة أسبوعيا

- ترتب المستعمرة نظافة يومية وتغيير الفراش فى كل شقة.

- في داخل المستعمرة على كل ساكن يوميا فى كل صباح أن يفتح باب الحجرة كعلامة على أن كل شئ على ما يرام. فإذا رأت أحدى المرضات أو الرائدات أن الباب لم يفتح يتحدثون تليفونيا أو يحضرون مباشرة للزيارة والاطمئنان.

- أن كل ساكن يتناول أحدى الاكلات الكبيرة سواء الغذاء أو العشاء مع المجموعة الساكنة فى المستعمرة على سبيل التعارف والتسلية وتبادل الحديث الاجتماعى ولكن فى ظروف خاصة يمكنها أن تأخذ طعامها معها إلى الحجرة أو أن تتناوله فى النادى الصغير أو السناك بار.

- أن تؤدى إدارة المستعمرة لكل ساكن أو ساكنة معالجة فيزيقية أو فيزيولوجية بحسب حالة كل كبير السن. لا شك أن السن الكبير تستلزم هذا العلاج Physical Therapy لبعض العضلات أو الأعصاب أو العظام. ويستحسن أن يكون فى المستعمرة حمام سباحة داخلى غير عميق ودافئ المياه ويمكن عمل العلاج الفيزيقي فى الحمام نفسه لأن السير فى المياه أسهل منه فى الخارج.

- أن تكون فى المستعمرة حديقة زراعية حتى يساعد الكهول على الحركة والعمل إذا أرادوا أن يكون فى كل منزل بعض الزهور أو حتى زهرة واحدة تسعد النظر إليها.

- أن تكون هناك مكتبة للاستعارة شاملة للكتب الدينية والاجتماعية والعلمية.

- أن يكون فى المستعمرة مركزا لبيع بعض الهدايا والبطاقات وخطابات المراسلات على أوراق مزخرفة وجميلة.

- أن يكون هناك أطباء متطوعون للزيارات والعلاج فى نواحى مختلفة مثل القلب والكلاوى والتبول والعيون والآذان. يوجد أقباط أطباء ممتازين فى كل نوع ويمكن أن يطلب إليهم التطوع وأن تكون هناك حجرة طبية وممرضة للحالات المفاجئة.

- أن تكون هناك من وقت لآخر أوجه نشاط متداولة مثل أفلام دينية للعرض الفيديو أو DVD أو المسرحيات من أبناء الكنائس المجاورة.

- يمكن أن تكون هناك حجرة للتسلية والمباريات الرياضية البسيطة التى تتناسب مع السن

- يمكن العناية بأمراض الذاكرة والنسيان على الأخص Alzheimer والأمراض الاخرى البسيطة.

- حجرة استقبال للضيوف الشخصيين أو أعداد حفلات خاصة أو اجتماعات إدارية.
- أن تكون هناك فرص لاشباع الهوايات الخاصة مثل الرسم أو صناعة الاسبتة أو الخياطة والغزل أو النظر لحوض أسماك ألخ..
- يمكن لكل ساكن أن يقوم أحيانا ببعض السير فى طرقات المستعمرة مع مصاحبة رائدة أو ممرضة حسب الحاجة.

هذه بعض الاقتراحات الخاصة بالمستعمرات الكنسية التى يمكن انشاءها بالتعاون بين عدة كنائس أو المنظمات المسيحية. وليس من اللازم تحقيق كل هذه الاقتراحات كما يمكن أختيار أنظمة أخرى. ولكن جميع هذه المقترحات تحققت فى أحدى المستعمرات التى تتبع الكنيسة presbiterıan فى بنسلفانيا ويعيش سكانها فى سعادة تامة وقد زارها مؤلف هذا الكتاب للتحقق مما يمكن لكنيسة أن تقوم به نحو كبار السن.

فى الواقع مثل هذه المستعمرات يمكن أن تحل الكثير من المشاكل السيكولوجية التى تعترض حياة كبار السن وعلى الأخص مشكلة مخاوفهم التى لا يتحدثون عنها كثيرا أمام الغير. وفيما الحديث عن نتائج دراسة سيكولوجية لهذه المخاوف.

مخاوف كبار السن

هذه هى المشكلة الرئيسية التى ينبغى لأبناء الكنيسة أن يراعوها عند حديثهم مع كبار السن. إن لهم مخاوف كثيرة فى الحياة تختلف عن أبناء الكنيسة فى أى سن آخر. قام السيكولوجى الأمريكي رتشارد كاليش Richard Kalish بدارسة مخاوف كبار السن عند عدد كبير منهم ووصل إلى النتائج التالية:

١- المخاوف من الجرائم الموجهة نحوهم باعتبارهم غير قادرين على حماية أنفسهم وثبت أن ٣٧% منهم تعتريهم هذه المخاوف دائما و١٢% يحسون بهذه المخاوف بعض الوقت.

٢- المخاوف من الوحدانية ٤٦% منهم يحسون بهذه الوحدة ويخشونها ولهذا تصيبهم الاحساسات بالحزن والانكسار والانقباض.

٣- المخاوف من الانهيار الصحى والضعف والأمراض ٥٧% منهم لديهم هذا الشعور ويحتاجون إلى تشجيع للبقاء على الحياة.

٤- المخاوف من الشعور أنهم اصبحوا غير مرغوب فى بقائهم. ٤١% لديهم هذا الاحساس ويساعد ذلك على انقباضهم النفسى.

٥- المخاوف من العجز عن أدائهم حاجاتهم اليومية سواء فى المنزل أو الحاجات من الخارج ٢٦% يحسون بهذا العجز.

وأود أن أذكر للكهول أنه إذا كان الله معنا فمن علينا. إن ملائكته الأطهار ساهرون على سلامتنا فمن من نخاف. لنصلى فالصلاة قوة روحية.. ما أحوجنا أن يكون روح الله معنا ويرشدنا لأن الخوف ظاهرة من مظاهر ضعف الايمان. بالصلاة والصليب تزول كل المخاوف. صلوا فى كل حين وارشموا الصليب باسم الآب والابن والروح القدس الإله واحد آمين.

الفصل التاسع

القديس باخوميوس المؤسس الحقيقى لسيكولوجية الرهبنة والعمل

يرجع الفضل إلى القديس باخوميوس في اكتشاف وتطبيق المبدأ السيكولوجي أن وقت الفراغ يمكن أن يكون أساسا لمفاسد كثيرة بالإضافة إلى ضياع قيمة الوقت الثمين الذي يمكن أن تستفيد منه الكنيسة. ,ولهذا نؤكد أن مشروع الراهبات العاملات أو الرهبان العاملين ليس جديدا على الكنيسة القبطية بل فى كل دير نجد أن هناك مشروعات يهتم بها الرهبان والراهبات من بين وسائل الخدمة الكنسية ونذكر على سبيل المثال دير أنبا انطونيوس ودير أنبا بولا بالقرب من مدينة الواسطى مديرية بنى سويف. كان يتبع كل من هذين الديرين مساحة زراعية تصل إلى الفين فدان. وكان الرهبان فى أوقات فراغهم يعملون جادين فى زراعة هذه الأراضى لسد حاجات الكنيسة والبطريركية والأديرة الأخرى. تخيل العمل فى آلاف الأفدنة. ومع ذلك لم يتعارض ذلك مع مواعيد العبادة والصلاة والخدمات الأخرى اللازمة للمجتمع الكنسى.

ترجع فكرة الرهبان والعمل للخدمة إلى القديس باخوميوس الذى أنشأ نظاما للرهبنة فى غاية التشدد سواء من

حيث العبادة أو من حيث الأعمال الزراعية والغذائية وانتاج الملابس إلى غير ذلك. اشترط القديس باخوميوس فى ذلك الدير شروطا مشددة لقبول أى شخص يود الانضمام لرهبنة الأديرة أن يعمل جادا قبل قبوله فى المزارع الخارجية التابعة للدير حوالي ثلاث من السنوات حتى يستحق أن يكون راهبا. من الطبيعى أن المتابعة الروحية كانت أيضا من اللوازم الأساسية. توسع نظام أديرة القديس أنبا باخوميوس فى صعيد مصر حتى شمل أحد الأديرة أكثر من ستة آلاف راهب عامل ومثلها من الراهبات العاملات.

من واجبنا أن نذكر هنا شيئا عن تاريخ القديس باخوميوس هو من مواليد طيبة سنة ٢٩٢ لوالدين من الأمميين. ورغم ارادته ألزم بأن يكون عضوا فى الجيش الرومانى فى سن العشرين وتصادف أنه كان فى وحدة يضطر فيها المسيحيون باحضار الغذاء يوميا ومحاولة تحقيق وسائل الراحة للجنود الرومان. هذه الخدمات التى كانوا يقومون بها باخلاص جذبت انتباهه. أولئك المسيحيون الذين كان يمكن فى أى لحظة أن يقوم الرومان باعدامهم لم يكن لديهم أى شعور بالكراهية أو الغضب بل يؤدون الخدمة فى محبة وابتسام. فكر فى عمق ما هى دوافع هذه المحبة للخدمة الخالصة. وقرر فى نفسه بأن يتحقق عنهم. وبمجرد أن انتهت خدمته في الوحدة التابعة للجيش الرومانى عاش فترة مع المسيحيين وسرعان ما أقتنع أنها المسيحية ومبادئها هى التى خلقت منهم ملائكة إلى هذا الحد. آمن بالمسيحية ونال العماد سنة ٣١٤ وحاول أن يسير فى طريقهم من حيث الزهد

والمحبة للجميع ومن هنا أتجه إلى فكرة الرهبنة تحت أشراف الزاهد بالامون Palamone سنة ٣١٧م. استمر تلميذا لهذا الزاهد بالامون سبعة سنوات متصلة. ذهب إلى حياة رهبانية منعزلة قرب دير أنبا انطونيوس فى حياة منفردة ولكن بعد قليل انضم إلى رهبان دير أنبا انطونيوس. وبينما كان فى أحد الأيام بمفرده يصلى سمع صوتا يقول له "أبني حجر سكنية لأولئك الرهبان ليعيشوا فيها فى زهد". وبالتعاون مع أحد الرهبان – القديس مكاريوس- استطاعا أن يقوما بالبناء لعدد من هذه الكهوف المتصلة وكانت هذه هى بداية لنظام الأديرة أطلق عليها اسم صوامع أو خلايا جماعية. وأخيرا اتجه إلى نظام للبناء أكثر تنظيما لهذه الصوامع مما يساعدهم أن يعيشوا معا فى اتصال اكثر وصلوات مشتركة وطعام مشترك وخدمات مشتركة. أحدث ذلك تغيير فى نظام الرهبنة لأنه كان قبل ذلك نظام انفرادى فقط وكانوا يلتقون فى مناسبات محددة. نجح القديس باخوميوس فى أن يخلق أول مجتمع رهبانى أطلق عليه كلمه "دير" واستطاع أن يبنى أول أديرة يعيش فيها الرجال أو النساء. ولهذا أطلق كل منهم - الرجال والنساء - على القديس باخوميوس كلمة "أبونا" Abba وهذه الكلمة تطورت فيما بعد إلى كلمة Abbot أى رئيس للدير أو "ربيطة". وجد أول دير منظم فى التاريخ فى مدينة طابينيزى Tabennisi فى صعيد مصر وكان ذلك بين سنتى ٣١٨-٣٢٣. وهنا بدأ يتوسع فى بناء الأديرة حتى أنشأ تسعة أديرة فى حياته وعاش فيها آلاف من الرهبان والراهبات. وبعد سنة ٣٣٦م انفرد مرة أخرى وعاش فى كهفه حتى وفاته سنة ٣٤٦م. قام بزيارته فى أديرته عدة مرات

القديس باسيليوس الذى جاء له مع بعض الزوار الأوروبيين الذى كانوا يزورنه فى قيصرية- كان من بين الزوار الأجانب القديس بندكتين الذى أعجب بنظام الحياة فى الأديرة وعلى أساسها أسس حركة "المجد للرب" وأنشأ أديرة فى فرنسا على نفس النظام أطلق عليها بندكتين Benedectine ونفذ فيها كل قواعد التشدد فى العبادة والعمل معا حتى لا يترك أى وقت فراغ فى حياة الراهب. على الراهب إما أن يصلى أو أن يعمل طوال الوقت.

الفصل العاشر

النظام الباخومى للرهبنة والعمل يغزو أوروبا

كيف أنتقلت فلسفة القديس بـاخوميوس إلى أوروبـا.
حدث ذلك على عدة مراحل تعود أصلا إلى القديس أثناسيوس الذى تحدث أثناء مرحلة نفيه إلى تريـف Treve سـنة ٣٣٦-٣٣٧ ثم رحلته إلى روما سنة ٣٣٩ وكما ذكرنا كان القـديس أثناسيوس زار دير القـديس بـاخوميوس وأعجـب بنظامـه وممارسة الرهبان والراهبات للعبادة والعمل فيه، وألف كتابه "حياة أنطونيوس Vita Antonii الذى انتشر فى جميع أنحاء العالم. كان القديس بالاديوس Plladius أحد الـزوار الـذين ذهبوا مع بندكت لأديرة القديس باخوميوس وتـرجم جميـع القواعد التى يسير عليها الرهبان إلى اللغة اللاتينية بمـساعدة الرهبان من القبطية وعلى الأخـص القـديس أرميـا. وعنـدما ذهب القديس باسيليوس لزيارة الأديرة الباخومية أعجب بها كل الاعجاب هو وروفقائه مثل بندكت.

نفس هذه القواعد الباخومية أصبحت معروفة فى أوروبـا باسم "بنـدكت مـن نورسـيا Benediet of Narsia" سـنة (٤٨٠-٥٥٠).

وذهب أيضا لزيارة الأيرة القديس يوحنا كاسيان John Cassian St. سنة ٣٥٠-٤٣٥م وقضى سبعة سنوات فى الدير مع الرهبان الأقباط. وكتب هناك كتابين "المعاهد Instiutes" وكتاب "المؤتمرات Conferences".

وفى سـنة (٣٤٦-٣٩٩) زار القـديس بونتكـوس أيفانجريوس Ponticus دير القديس بـاخوميوس وتـرهبن هناك لمدة سنتين يمـارس فيهـا بحـسب كـل تقاليـد الـدير وقواعده ثم عاش أربع عشرة سنة فى أحد الكهوف القريبة من الدير. وكذلك القديس أرميـا (٣٤٢-٤٢٠) زار الأديـرة مـع القديس روفينوس (٣٤٥-٤١٠) لمدة طويلة.

وفى سنة ٣٦٥ -٤٢٥ جـاء المـؤرخ الأسـقف بـالاديوس Palladius وقضى سبع سنوات مع الرهبان الأقباط وأصـبح تلميذا للقديس ايفـانجريوس بونتيكـوس Ponticusحيـث كتب مؤلفه Lausaic History حول سنة ٤١٩ م.

وكذلك القديس يوجينوس Eugenius تتلمذ على القديس باخوميوس نفسه ثم رحل إلى بلاد فارس وأنشأ ديـرا هنـاك على نفس النظام. وكان هذا الـدير أيـضا موضـعا لزيـارات كثيرة من الأوروبيين للتعرف على النظام الباخومى. وبنى على نفس النظام حوالى سبعين ديرا فى جهات كثيرة حول العالم.

ولا ننسى أيضا أن القديس أبيفانوس أسـقف سـالاميس فى قبرص الذى درس أيضا فى أديرة القديس باخوميوس .

وكذلك نشر كتاب سنة ٤٣٠ م بعنوان " Dialogues of Severus" كتبه أحد الزوار اسمه يوستوميان. تحدث هذا الكتاب بفخر عظيم عن الرهبان الأقباط والنظام فى أديرة القديس باخوميوس. ولم تقف الزيارات فقط من الرجال بل جاء للزيارة أيضا فى الدير الباخومى للسيدات القديسة "ايجاريا" والمعروفة فى أوروبا باسم Etheria وكذلك سيدة رومانية معروفة باسم القديسة ملانيا. وكذلك من الواجب أن نذكر القديس يوحنا كريزوستوم الذى عاش فى دير القديس باخوميوس من سنة ٣٧٤ حتى سنة ٣٨١ وأنطبع بذلك بطابع الدير الباخومى. وأساسها أن يعيش الراهب أو الراهبة فى عبادة وعمل مستمر.. لنعبد الرب بالصلوات والعمل كان يعتبر أن العمل وسيلة للعبادة .. لنعبد الرب بأعمالنا وليتمجد اسم الرب فينا.

ذكرنا أنه كان من بين الزوار الذين أتوا إلى دير الانبا باخوميوس قرب طيبة القديس أثناسيوس البابا العشرين وأراد أن يرسمه سنة ٣٣٣م أسقفا ولكنه هرب من الدير لأنه أراد أن يعطى كل وقته للعبادة دون مسئولية إدارية سوى رئاسة الدير وظل محتفظا بلقب أبا أو أبونا Abba أو فيما بعد لقب Abbot .

كان القديس باخوميوس أحد الآباء الأوائل وكتب كل رسائله باللغة القبطية فقط وسار على منواله آباء القرن الرابع، كما أن الأنبا أثناسيوس كان أول بطاركة الاسكندرية الذى كتب فقط باللغة القبطية واليونانية.

أنشئ أول دير باخومى فى نظامه فى أوروبا فى منطقة الريفييرا بفرنسا ولكن تدريجيا أخذ القديس بندكت يتوسع فى الانشاء حتى أنشأ طريق وادى الأديرة (الباخومية) البندكتين من الريفييرا حتى روما. وكان يطلق على هذا الطريق أسم وادى الأديرة وكان من أكبر الأديرة التى أنشئت فى هذا الطريق فى مدينة سينا Sienna الذى كان معروفا فى المبدأ باسم دير باخوميوس ولكنهم غيروا الأسم إلى بندكتين حتى تحمل جميع الأديرة نفس الاسم. اتبعت جميع هذه الأيرة نفس النظام المتشدد فى العبادة والعمل الذى وصعه القديس باخوميوس. ووافق بابا روما على أن يصبح نظام البندكت أحد المناهج التى تتبعها الأديرة وتسير على نظامها حتى الآن. فى الواقع بابا روما الحالى هو أحد الرهبان الذين نشئوا فى هذا النظام.

امتد هذا النظام بعد ذلك إلى عدة دول من أولها أنجلترا التى أنشأت عدة أديرة فى نواحى كثيرة على هذا النظام وكذلك الامبراطورية النمساوية.

المسيحية فى النرويج

كان أيضا هناك أثر بالغ للأديرة الباخومية المعروفة باسم "بندكتين" أثر بالغ فى امتداد المسيحية إلى النرويج ذلك أن بعض أعضاء هذا النظام جاءوا إلى النرويج فى القرن الحادى عشر وكان رئيس جماعة الرهبان الباخوميين اسمه "أولاف تريجفاسون Olaf Trygvason" استطاعت هذه

الجماعة أن تقنع أعدادا كثيرة بالمسيحية حتى وصلوا إلى تتويجه كملك للنرويج حوالى سنة ٩٩٥-١٠٠٠ م وقام بالحكم حوالى خمسة عشر سنة وفى خلال هذه المدة ألزم أعدادا كبيرا بالعماد واعتناق المسيحية فى أغلب جهات النرويج. تولى العرش بعده أبنه أولاف الثانى الذى استورد عددا من الكهنة البندكت من انجلترا. انتظمت الكنيسة فى أنحاء النرويج حوالى سنة ١١٥٢ وتولى اسقفيتها نيداروس. كان العماد يقوم به الكهنة الانجلوساكسون على نفس نظام البندكتين (النظام الباخومى) وأنشئوا عندئذ عدة أديرة على نفس نظام الحياة الرهبانية العاملة. تولى رئاسة الأسقفية فى النرويج لأول مرة الأسقف "لند 1103 Lund" وبعد ذلك منذ عام ١١٥٢ رئيس الأساقفة Trondhjen الذى مارس سلطته فوق جميع الأساقفة كما أنشئت عدة أديرة للنساء الراهبات بلغ عددها فى فترة وجيزة ثلاثين ديرا يرأسها كلها الراهبة البندكتين سيستريان Cistercian ومن ثم بدأت المذاهب الكاثوليكية الأخرى مثل الدومنيكان والفرانسيسكان والأوغسطينان والبريجيتين فى إنشاء مدارس وأديرة مماثلة.

وهنا بدأت المسيحية تنتشر فى الدول المجاورة مثل السويد وجرينلاند وأيسلاند وبعض الجزر المجاورة. وكلها تبعت نفس النظام الباخومى الذى تسير عليه حتى اليوم. وامتد النظام أيضا إلى بلجيكا وهولنده حتى أصبح البلجيك منقسمين فى نظام الحياة ويطلق على أحدها "عاملين Practicant" أى تابعون لنظام القديس باخوميوس فى

حياتهم الخاصة أو أن يكونوا غير عاملين أى غـير خاضـعين لهذا النظام المتشدد.

والعجيب أن هذا النظام نفسه أنتقل أيـضا إلى اسـتراليا وليس لدينا سبيل لمتابعة هذا الانتقال ولكـن أغلبيـة الأديـرة والكنائس الكاثوليكيـة فى اسـتراليا تتبـع نظـام البنـدكتين (الباخومى) من حيث العبادة والعمل.

الفصل الحادي عشر
سيكولوجية العمل فى الأديرة

بالأمس فى لحظات الخلوة شرد ذهنى وبدأت اسائل نفسى عن ما يمكن أن يتخيله الراهب حديث التطوع فى أوقات خلوته. ماذا يخطر فى ذهن الراهب الحديث. لا شك أن الدافع الدينى مسيطر عليه تماما حتى تطوع للرهبنة واتخاذ هدا الطريق لمدى حياته. إلا أن الشيطان سيد هذا العالم يعلن عليه الحرب ليحاول أن ينتزعه من هذا الطريق الالهى ويحاول أن يؤثر عليه بخواطر ترتبط بالماضى أو الحاضر أو المستقبل. يحاول الشيطان أن يجتذبه إلى الوراء. وأعتقد أن الراهب سوف يحارب ذلك باللجوء إلى الصلاة. ولكن كيف وجد الشيطان سبيلا للتسرب إلى ذهنه. ذلك لأنه كان لديه بعض وقت للخلوة بذاته. وهذا بالضبط ما دفع بعض الآباء الأوائل للرهبنة أن يفكروا أنه لا ينبغى أن يكون للراهب أى وقت فراغ. الراهب يجب أن يكون مشغولا طول الوقت إما فى الصلاة والتعبد أو للعمل لمصلحة الكنيسة والمجتمع الكنسى. ينبغى ألا يكون لديه أى وقت ليواجه مغريات الحياة. دعا الأنبا باخوميوس مؤسس نظام الرهبنة الجماعية بهذا المبدأ حتى قبل أن ينتمى المتطوع إلى الدير. ينبغى أن يواصل راغب الرهبنة العمل خارج أسوار الدير طول أيامه لثلاث سنوات على الأقل تحت إشراف دقيق حتى يعتبر مستحقا للتطوع

والقبول داخل الدير. سادت هذه الفلسفة من القرن الثالث إلى السادس. تعبد وعمل لخدمة الكنيسة وأبنائها. طبعا يختلف في ذلك عن الرهبان الزاهدين الذين فصلوا أنفسهم تماما عن المجتمع واختاروا أن يعيشوا فى كهوف متباعدة فى الجبال والصحروات. عاش القديس الانبا انطونيوس حوالى اربعين عاما فى كهف صغير مرتفع فوق الصحراء منذ حوالى سنة ٣٠٠م وبنى أول دير باسمه حوالى سنة ٣٦٠م وكان عندئذ الانبا انطونيوس يتحدث اللغة القبطية مع بقية الرهبان. وفى هذا الوقت ظهر نظام الرسم على الجدران وكان بذلك بداية أن يترك الرهبان ثروة خالدة من الآثار الفنية. خلد الفنانون برسوم كثيرة صورة القديس انطونيوس بألوان براقة. ولكن الدراسة الأثرية بينت كيف أن الرهبان كانوا يقدمون الصلاة أمام هذه الصور وهم يحملون الشموع التى تركت زيوتها على الرسوم والتصق بها كثير من الرماد حديثا. ومن واجبنا أن نذكر أن من أهم هذه الرسوم ما أنتجه الفنان "ثيودور" وبعض الرهبان الذين التحقوا بالدير فى وقت متأخر من أصل بيزنطى. وتوجد بالدير أيضا بعض رسوم بالغة الجمال والوضوح للقديس انطونيوس ترجع إلى القرن الثالث عشر.

ولو رجعنا إلى كتاب "الفين سنة للمسيحية 2000 years of Coptic Christianity" الذى أصدرته الجامعة الأمريكية بالقاهرة بقلم المؤرخ الكنسى "منارديس Meinardus" نجد أن بعض أعضاء اللجنة التى اشتركت معه فى البحث أحست فى مقابلاته العديدة مع الرهبان

بانطباع واضح لديهم أن من يعمل لخدمة الرب بأى أسلوب إنما هو يعبد الرب "إنهم يعبدون الرب بعمل أيديهم".

ولو تحدثنا عن أى زيارة للمتحف القبطى بالقاهرة سوف نخرج من هذه الزيارة بانطباع عن الأهمية التاريخية من الناحية الفنية لمنطقة "باويت Bawit"، الدير نفسه موجود بالصحراء على حافة المنطقة الزراعية بعد ١٥ كيلو مترا من ديروط شمال أسيوط. فى تلك المنطقة يقع الدير المهجور المعروف باسم دير القديس أبولو "دير أبو أبولو" وهذه الكلمة ترجع إلى اللفظ القبطى "أوهت Auht" ومعناها مجمع أو دير.

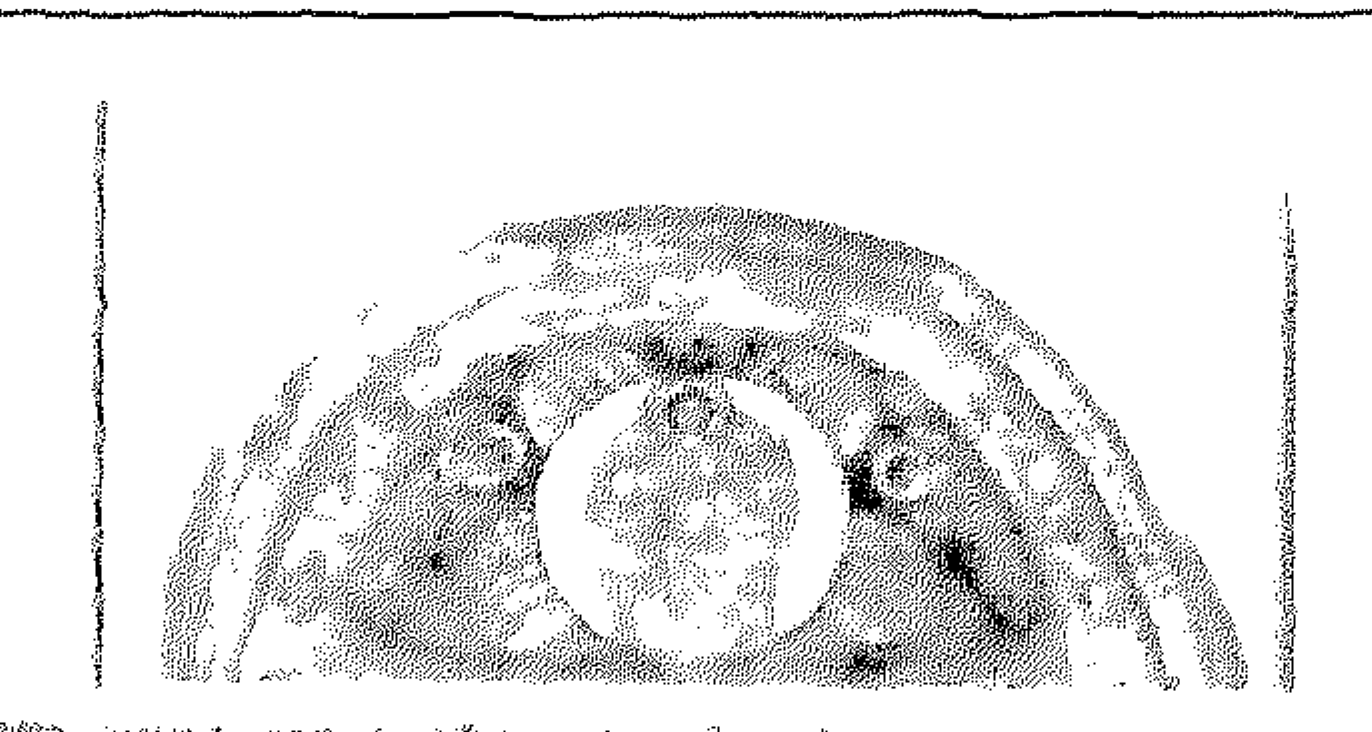


القديس أبولو وبعض الرهبان

كان أول دير بنى فى هذه المنطقة باسم الراهب "ابولو Apollo" حوالى سنة ٣٨٥-٣٩٠. كتب بعض أصدقاء القديس أبولو المعاصرون له ما يلي.

"قمنا بزيارة رجل قديس آخر أسمه أبولو فى منطقة هرموبوليس Hermopolis. رأينا هذا القديس فى الصحراء عند قاعدة الجبل وكان فى ديره حوالى خمسمائة راهب. كان لهذا الراهب شهرة كبيرة فى منطقة طيبة لأنه عمل معجزات

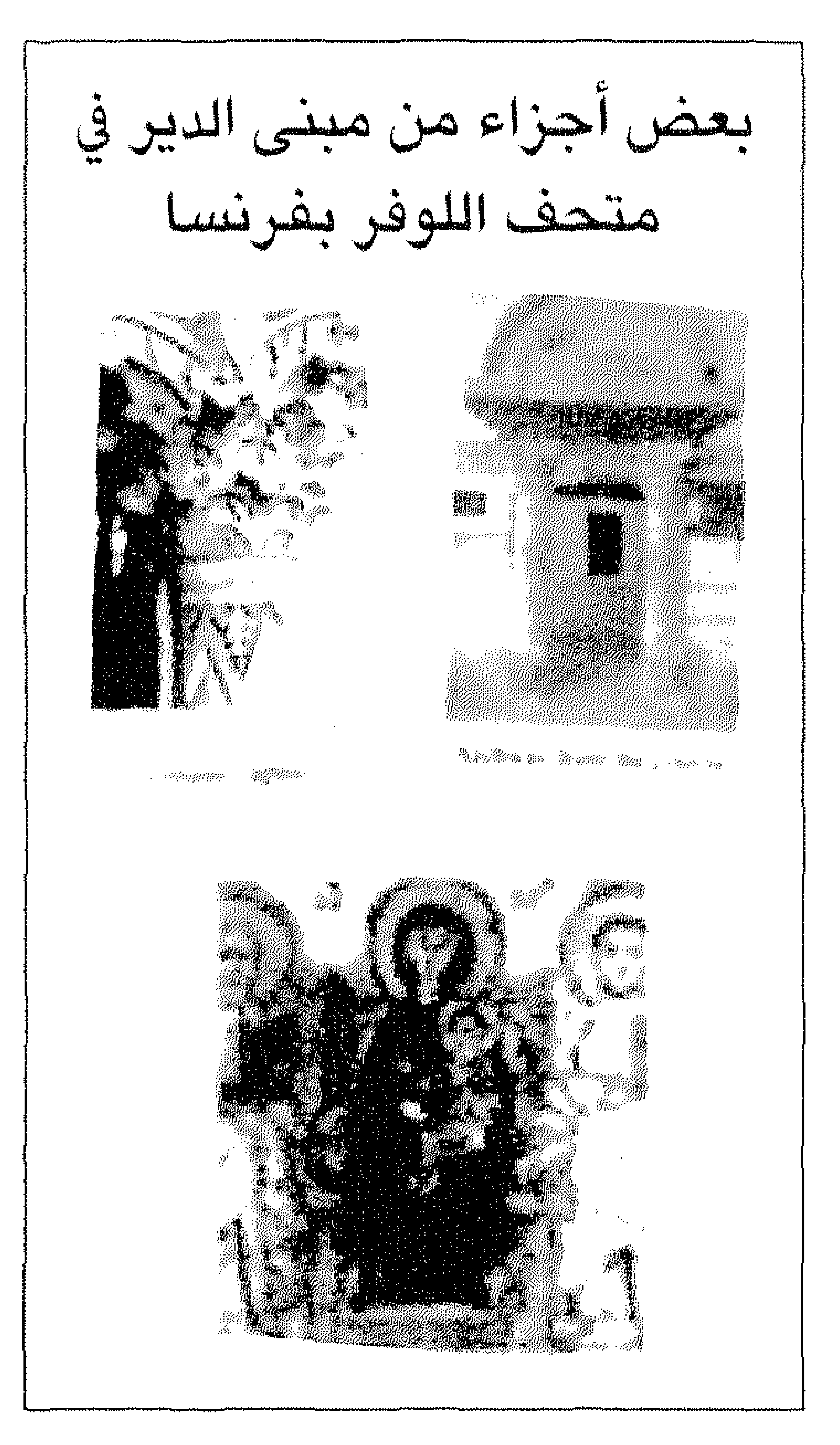
كثيرة صدرت عنه شخصيا. أنشأ هذا القديس الدير عندما وصل إلى سن الثمانين وسرعان ما شمل الدير خمسمائة راهب وكل منهم يعمل فى حماس وصدرت المعجزات عن عدد منهم. بدأ هذا القديس حياته منذ كان فى الخمسة عشرة سنة حيث أنسحب من العالم متميزا بكل فضيلة. ومن ثم سمع صوت الرب قائلا له "يا أبولو عن طريقك سوف أحطم الحكمة الباطلة للمصريين واقضى على كل ما يدعيه الأمميون كما سوف أنصرك على الشيطان وكل من يعبده. عاش هذا القديس بقوة الرب وأظهر له الروح القدس نفسه عدت مرات ومنحه القوة أن يعمل المعجزات. أتجه إليه عدد كبير من الرهبان على التوالى وألهمم بأسلوب الحياة الروحية. تبع ذلك أن أعدادا كبيرة من الشعب تركوا كل حياتهم المدنية وأتجهوا إليه بدلا من العالم. هكذا تكونت جماعة أخوة الرب يعيشون معا فى محبة كاملة وتعاون كامل وتضحية بالغة. أتموا معا فى عمل





بعض اللوحات التي تقطن الآن في متحف اللوفر

متواصل بناء الدير المقدس وأخـذوا يرسـمون عـلى جدراتـه رسوم القديسين. لم تقتصر الرهبنة على الرجل بل جـاء إليـه أيضا أعداد كبيرة من البنات وترهبنوا على يديه فى دير منفصل وعـين رئيـسة لهـم باسـم القديـسة راشـيل. بلغـت التوسعات فى مبـانى الأديـرة فى القـرن الـسابع حيـث بلـغ عـدد الرهبـان والراهبـات خمـسة آلاف. ولكـن بـسبب الغـزوات العربيـة المتواليـة قـل عـدد الرهبان والراهبـات. حتـى قـضوا عـلى جميع الرهبان تماما من هذه الأديرة فى القرن الحـادى عـشر الميلادى. وبدأت رمال الصحراء تغزو المبانى وتحطم بعضها.



بعض أجزاء من مبنى الدير في متحف اللوفر بفرنسا

بسبب الرسوم الجميلة التى أنتجها فنـانوا ديـر أبولـوا أصبح الدير معروفا فى العالم أجمع بسبب القدرة الفنية التى أنتجها الفنانون الرهبان خصوصا فى القرن السادس والسابع الميلادى. الرسوم التى انتجها الرهبان فى الكنيستين اللتـين فى

وسط الدير تعتبر من الرسوم الخالدة فى تاريخ الفن العالمى وعلى الأخص الأقواس الخاصة بالملاك ميخائيل والملاك جبرائيل . وقد أشار إليها كتاب المؤرخ كابوانى ماسيمو Capuani Massimo عن مصر المسيحية: الفن والآثار فى خلال قرنين طبعة Liturgical Press الذى نشر سنة ١٩٩٩



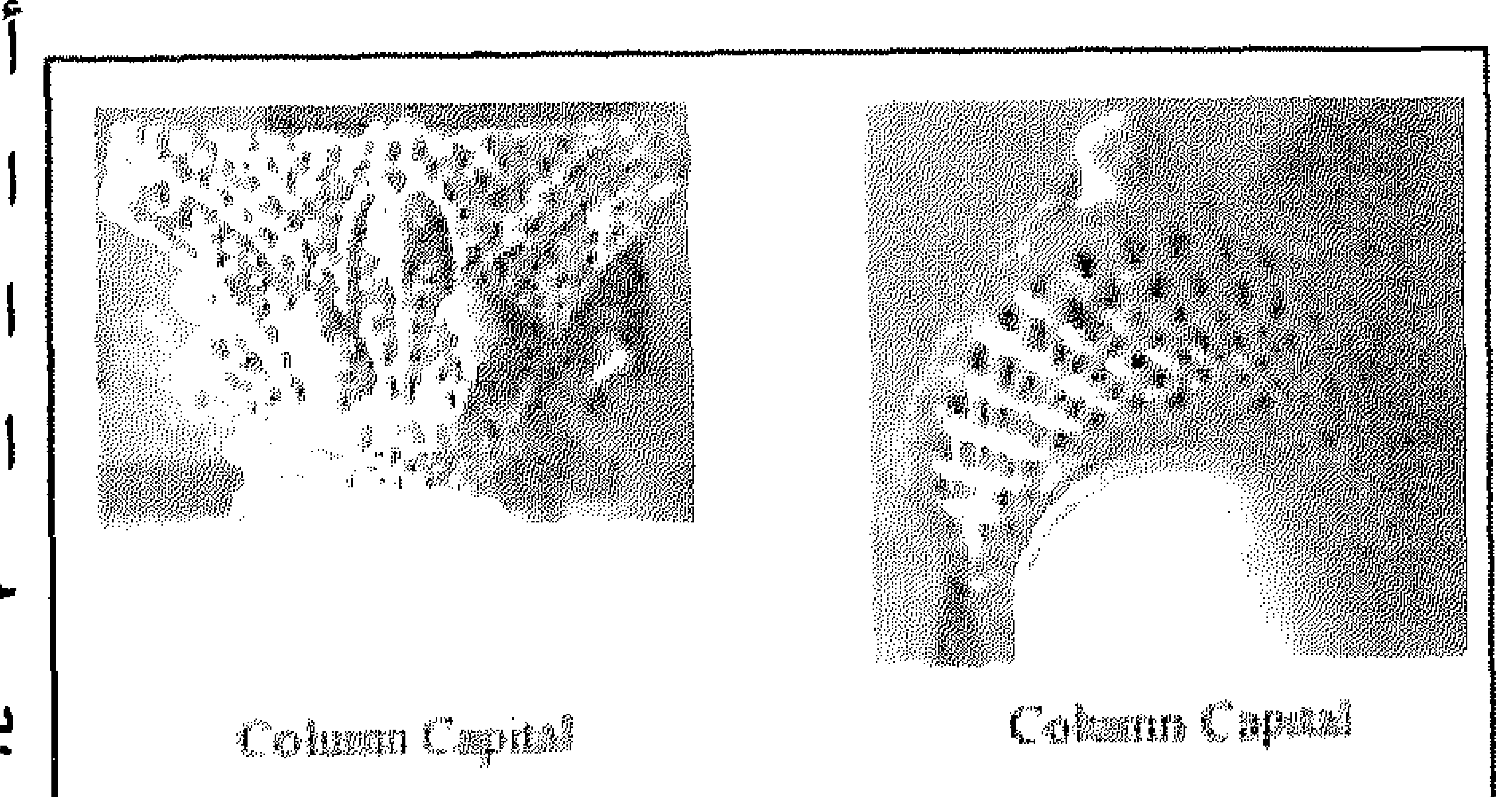
صفحة الرسوم الجميلة على جدران الدير

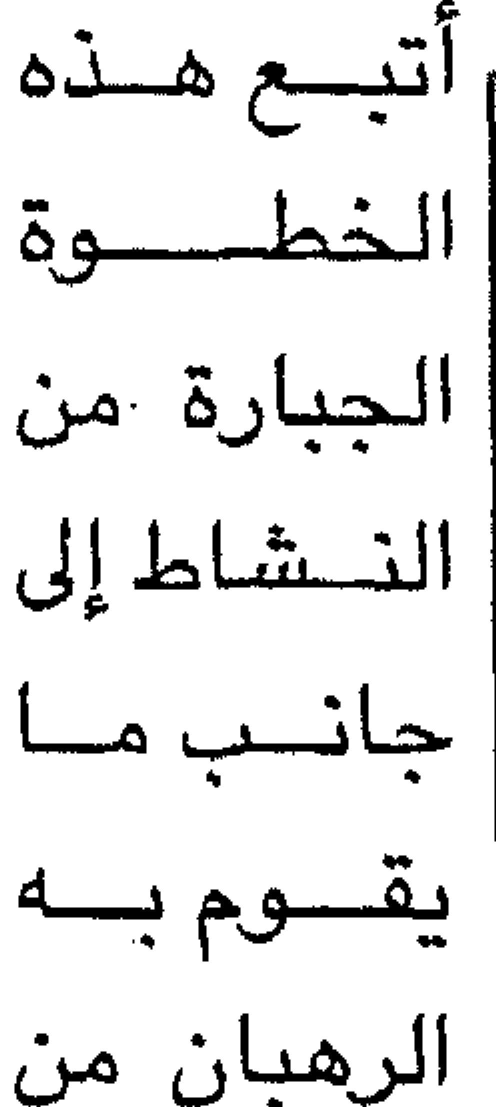
وأشار إلى هذا الدير والفنون الرائعة التى أقامها الرهبان فيه كتاب "الكنيسة والأديرة المصرية فى مصر" الذى ترجمته الدكتورة ايفيتث Evettes من تأليف أبو صالح ونشرته مطبعة Gorgias Press . عملا بنفس المبدأ السيكولوجي "لا فراغ لأى راهب" ومبدأ "العبادة عن طريق العمل". نذكر هنا تطورات أخرى فى نظام الرهبنة الجماعية عبر التاريخ.

قام عدد من الأديرة القديمة بنسخ ونشر عدد من المؤلفات المسيحية التاريخية. إلى جانب التعبد الكامل كان الراهب يقض ساعات كل يوم لشهورا أو سنين لنسخ كتاب واحد من كتب الآباء الأوائل بما فى ذلك الإنجيل المقدس تخيل الأهمية البالغة لهذا المشروع إذ يلجأ بعض الرهبان الحاليين

إلى قراءة هذه المراجع ومحاولة هضم كل عبـادة فيهـا.. إنـه نشاط روحى لا يمكن التقليل من أهميته.

ونذكر بكل فخر أن دير الأنبا انطونيوس فى كاليفورنيـا





أتبـع هـذه الخطـوة الجبارة من النـشاط إلى جانـب مـا يقـوم بـه الرهبان من عبادة وصلوات نهارا وليلا. أنشأ دير أنبا أنطونيوس مطبعـة كاملة مجهزة بكل وسائل الطبع الحديث ونشروا أعدادا كبيرا من المنشورات لعل من أهمها المجلة الشهرية التـى يـصدرها الدير وتشمل بحوثا رائعة لها تأثيرهـا. إننـا ننتظـر بفـارغ الصبر العدد الشهرى لنتلذذ بقراءته والإلمـام بكـل مـا فيـه. أليس هذا خدمة للرب ووسيلة من سائل العبادة. إنـى أفخـر بجهود رهبان هذا الدير.

إن نظام طبع الكتب القديمة وكتابات الآباء ليس جديـدا فهو يعود إلى القـرن الأول المـيلادى حيـث كـان المؤرخـون يجمعون بجهود بالغة الكتابات عن الأنبيـاء والقـدماء وعـن الملائكة والقديسين والشهداء وكان يطلق عـلى هـذا النـشاط كلمة معتقـدات Doxology وقـد اسـتطاع النـاشر دى لاسى أوليرى Delacy o'leary سنة ١٩٢٤ جمع عـدد كبـير مـن الكتابات ونشرها باسم "ترانيم لتمجيد الرب، وترانيم لتمجيد

السيدة العذراء والاسم العام لهذه المؤلفات كان التمجديات الإلهية Theotokia". ولا تزال نسخة كاملة من هذه المؤلفات موجودة فى المكتبة العامة الوطنية فى باريس Bibliotheque Nationale de Paris وكذلك فى المتحف البريطانى فى لندن. جمع أوليرى فى هذه المجلدات عددا كبيرا من الأشعار القديمة التى كان يطلق عليها اسم مزامير وهى تمثل حقا بعض جهود الشعراء الأقباط القدامى. قال عن هذه المزامير المؤرخ الكنسى مالون Alexis Mallon أنها من أعظم الثروات التى تملكها الكنيسة القبطية. إن الثيوتوكيا Theotokia تعتبر مجموعة نفيسة فى الأدب القبطى وقدمتها الكنيسة القبطية للعالم.

فى أغلب الحالات كانت هذه المزامير بمثابة أشعار لمدح الرب وعبادته والتحدث بأمجاده علينا. ولهذا يطلق عليها لقب "تمجيد للرب Glorification of God " جمعوا فى الكتاب مزمورا خاصا بكل يوم فى السنة ولكل ساعة من ساعات النهار. وأطلق عليها أحيانا "مزامير كيهك" ويعتبرها البعض جزءا من اللاهوتيات القبطية الارثوذكسية التى انجب بعضها علماء وعمداء اكليريكية الاسكندرية وكتب المؤرخ تيم فيفيان Tim Vivian الاستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة إن هذه المزامير التاريخية تعتبر من أعظم وأهم المراجع للمسيحية فى العالم. ولهذا كتب الدكتور جودت كبرة الذى كان رئيسا للمتحف القبطى فى القاهرة أنه استطاع أن يحصل على بعض النسخ القليلة من هذه الأشعار الأدبية ويفخر أنه أضافها إلى محتويات المتحف إلى جانب ما حصل

عليه من كتابات والنسخ التى انتجها بعض رهبان الصحراء وأشار كذلك الأستاذة شايو Chaillot إلى أن كتابات الرهبان أيضا شملت فى بعض الاحيان وصفا دقيقا للحياة المسيحية عبر العصور المختلفة. وأشارت أيضا أن هناك كتابات كثيرة أنتجها بعض الرهبان عن الكنيسة القبطية فى الحبشة وأداب هذه الكنيسة والمجتمع الاثيوبى على اتساع مع شرح دور الكنيسة فى التطورات السياسية التى حدثت على الأخص فى العصور الحديثة.

إن المصادر عن الكنيسة القبطية فى اثيوبيا محدودة جدا وتحتاج الثقافة القبطية إضافة الكثير إليها. تشير شايو بنوع خاص إلى فترة الاحتلال بعد الغزو الايطالى للحبشة فى عهد موسولينى وكيف استطاع الامبراطور هيلاسلاسى أن يهرب وأسرته وكانوا فى مصر ضيوفا على الايغومانوس أبونا ابراهيم لوقا لمدة تسعة شهور حتى استطاع الغرب أن يخلص الحبشة من الاحتلال.

والأسوأ من ذلك أننا لا نعلم إلا القليل جدا عن فترة غزو القوات الشيوعية بدءا من اريتريا للحبشة. ماذا حدث للكنائس والأديرة القبطة وما فعلت الهمجية الشيوعية بها من مذابح وتحطيم وقتل الشهداء الاثيوبيون بالآلاف. ليس لدينا معلومات كافية عن ما حدث فى أطفال مدارس الأحد ومجمعات الشباب "مهابيرى كيدستان Mahebere Kidustan" وما آثار الغزو على الناحية الروحية فى الحبشة. لم تجد الباحثة شايو أى كتابات من رجال الأديرة والكنائس الحبشية أو المصرية شيئا عن كل ذلك. هذا هو فقط نموذج

يبين لنا كيف أن التاريخ الكنسى يعتمد إلى حد كبير على ما يكتبه الرهبان الأقباط عن التراث القبطى وتاريخ الكنيسة التى هى موطن العبادة الاساسى.

من كل هذا يتبين أن السيكولوجية المسيحية تستلزم خضوعا كاملا لكل ما يرضاه الرب وأن نثق فى إيمان أن كل عمل صالح هو عبادة للرب. فلتكن مشيئته كما فى السماء كذلك على الأرض.

الفصل الثاني عشر
ملاحظات ختامية

هنا أود أن أشير إلى أهمية المؤتمر المنعقد حاليا في جامعة انديانا واشترك فى بحوثه عشرات من المحاضرين الذين يمثلون عددا من الجامعات الكبرى فى الولايات المتحدة. واستمر المؤتمر حتى الآن عدة أيام متوالية وكان الموضوع الرئيسى للمؤتمر هو "الرهبان والراهبات العاملين فى الأديرة القبطية فى مصر حاليا". يسعدنى أن ألخص فى عبارات محدودة الخلاصة التى أذيعت على صفحات الانترنيت اليوم (٢١ مايو ٢٠٠٩).

قالت الدكتورة اليزابيت بولمان Elizabeth Bolman الأستاذة بجامعة تمبل Temple إن أهم ما يقوم به الرهبان والراهبات فى أديرة منطقة سوهاج وعلى الأخص فى الدير الأبيض والدير الأحمر هو أنهم يقومون حاليا باعادة بناء الأجزاء التى حطمها التاريخ من البناء وأعادة الرسوم الحائطية الجميلة إلى ما كانت عليه من قبل. أنهم يعملون لمدة سنتين حتى الآن على أعادة روعة مبانى هذه الأديرة.

وقال الدكتور دافيد براكل David Brakkl الأستاذ بجامعة انديانا إن من أهم خصائص الخدمات التى يقوم بها الرهبان والراهبات فى هذه المنطقة هو الخدمات الاجتماعية

للمجتمع الكنسى المرتبط بالأديرة. وعبر التاريخ خصوصا منذ الغزو الإسلامى انهارت أو توقفت هذه الخدمات لأسباب يمكن أن نفهمها. والآن تقوم الراهبات العاملات بتجديد هذه الخدمات بكل سبيل على الأخص للأسر الفقيرة التى تحتاج إليها سواء من الأقباط أو اسلمين. أنهم يقومون الخدمات للمحتاجين بدون النظر إلى الدين أو أى أعتبار أخر. ولعل من أهمل ما يقوم به الرهبان فى المنطقة حاليا هو إخراج الشياطين باسم الرب يسوع المسيح.

وذكرت الاستاذة شيلا ماكيالى McNially بجامعة ميناسوتا. الرهبان فى هذه المنطقة يحاولون حصر المنطقة المحاورة وما تستلزمه من اصلاحات عامة أو بنائية أو انتاجية. الرهبان يبذلون حاليا جهودا بالغة فى هذا السبيل ويستخدمون أحدث الوسائل التكنولوجية بما فى ذلك استخدام الكواكب الصناعية والرادار ليصلوا إلى خرائط عملية صحيحة وصورة متكاملة للمنطقة كلها.

وذكرت دارلين بروك والدكتور هيدستروم الاساتذة بجامعة ويتينبيرج Wittengburg University إن من أهم الانتاجات التى قامت أديرة منطقة الفيوم بها هو إنتاج الأوانى الفخارية الجميلة قام الرهبان والراهبات فى هذه المنطقة على الأخص من أيام الدولة الأيوبية. كانت هذه الصناعة التى قاموا بها موضع الفخر للمنتجات المصرية وكانت من أهم الانتاجات التجارية التى لاقت النجاح ووصلت إلى تصديرات إلى العالم كله وأصبحت معروفة باسم فخارات وادى النطرون. هذا يبين أن الأديرة الجماعية لم تكن منفصلة

عن المجتمع بل كانت تتسلم أوامر صناعة وتوريد من الفسطاط والإسكندرية وكانت تتلقى بعض الهدايا من المصدرين. وليس معنى ذلك أنهم لم يتفرغوا أساسا للعبادة والصلاة ولكن كل وقت فراغ كانوا يستخدمونه لخدمة الكنائس وأديرتها وكانت تفوق أماكن التجمعات الاسلامية. وعلق المتحدث من الجامعة الكاثوليكية الدكتور كريزى كوتسيفو Chrisi Kotsifou بأن هذه الأديرة كانت تسد حاجات كنائس عديدة بالاضافة إلى حاجة كل محتاج فى المنطقة. كانت تعطى للقرى أكثر مما يطلب منها. ولو رجعنا إلى محاضرة الدكتورة بنتلى ليتون Bentley Layton الأستاذة بجامعة ييل Yale University إن صناعة الملابس كانت من أهم انتاجات الأديرة على الأخص الملابس الكهنوتية. كان كل راهب أو راهبة فى مصر يلبس مجانا من انتاجات الرهبان والراهبات الدير الأبيض والدير الأحمر بمنطقة سوهاج. ليس فقط لرجال الكهنوت بل كانت الملابس تفيض على الفقراء فى كل قرية.

وذكر الدكتور يؤنس ماجوير Eunice Magure الاستاذ بجامعة جونز هوبكنز أن أحدى المهام التى قات بها بعض الراهبات هو عمل ملابس خاصة تناسب الذهاب إلى ملكوت السموات ويلبسها رجال الكهنوت والراهبات فقط. كانوا يعتقدون إن الاستعداد للذهاب إلى المائدة السمائية يستلزم ملابس خاصة مناسبة تليق بهذا الحفل العظيم وينبغى أن يلبسها الراهبات والرهبان فى لحظة الانتقال. وقالت الأستاذة كارولين شرودر Carolyne Schroeder المدرسة بجامعة

كورنيل Cornell إن من أهم الانتاجات الرهبانية حاليا هو نسخ المؤلفات القديمة والكتب اللازمة للخدمات الكنسية هذه المؤلفات القديمة والكتب اللازمة للخدمات الكنسية هذه المؤلفات لعبت دورا كبيرا فى المحافظة على كل التقاليد القبطية عبر العصور. لقد ساعدت هذه المنسوجات على أن تصبح الراهبة العاملة مرجعا روحيا وعلميا يرجع إليه الكثيرون من أراخنة الكنيسة لقد وصلت المرأة فى حالات كثيرة إلى درجة النبوة.

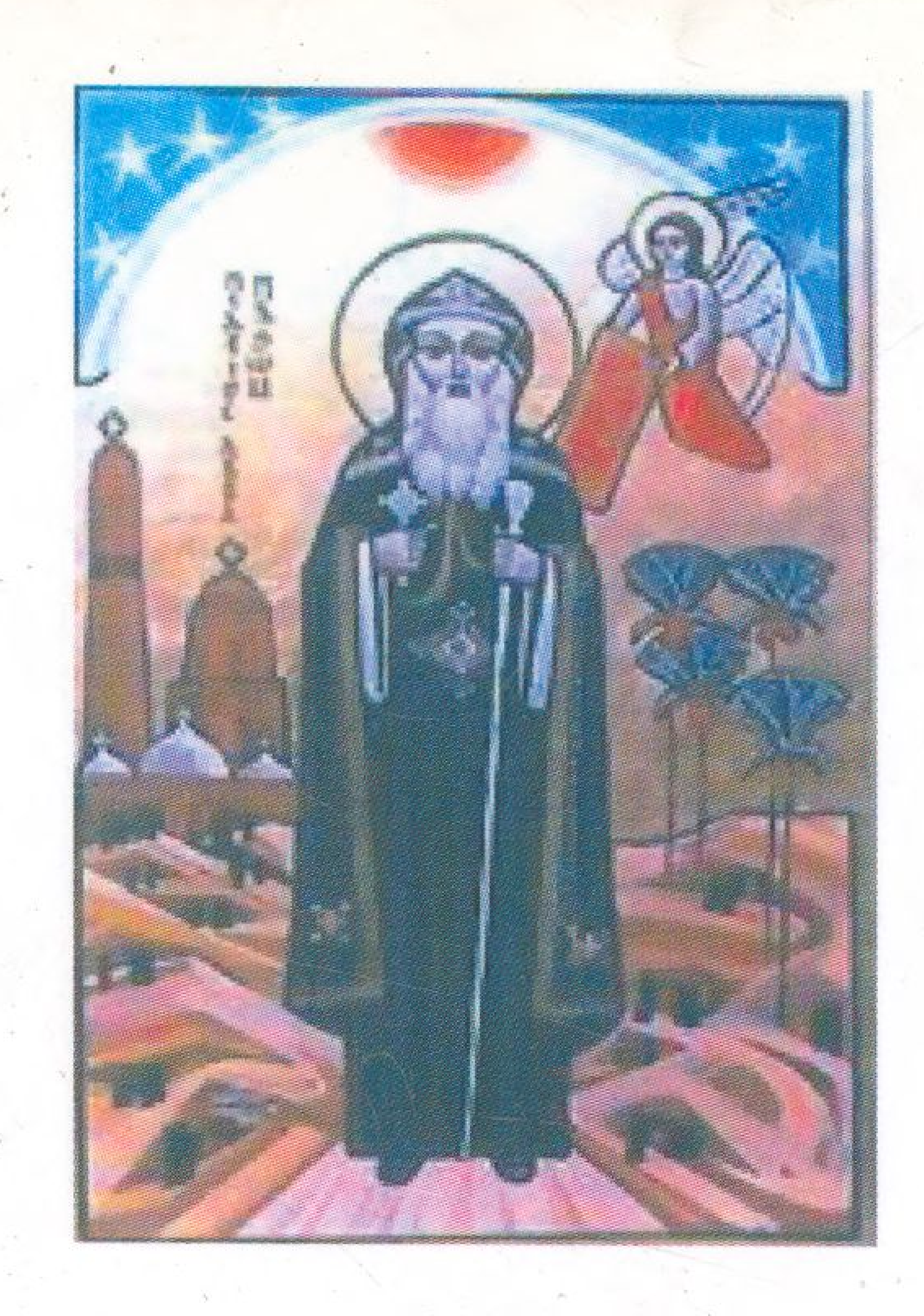
ومن جامعة فالباريزو Valpariso قالت المؤلفة الكبيرة فى الشئون القبطية بيترنيلا فان دورن Pieternella Van Doorn إنه حوالى عام ١٩٦٠ وصلت الراهبات العاملات إلى أوج شهرتهن فى البحوث الروحية التى تعود إلى القرون الأولى للمسيحية. أصبحت بعض الراهبات مثلا عليا للتخصص فى الشئون الروحية.

ولو ذهبنا حديثا إلى دير القديس مارمينا فى مريوط سوف لا تفاجأ بأن الرهبان أنفسهم يقومون بعمليات بنائية كثيرة. وفى زيارتى الأخيرة لهذا الدير أقتادنى أحد الرهبان الأجلاء لزيارة مقبرة القديس كيرلس السادس ثم صاحبنى لمشاهدة المكان الذى يعمل فيه بعض الرهبان فى تجهيز وخرط الرخام الجميل ليحيط بالأعمدة الصخرية لأحدى الكنائس. كان يتحدث بفخر أن الرهبان يعملون فى أى لحظة فراغ من العبادة فى تكملة بناء أبنية الدير والكنائس المشيدة فى داخله.

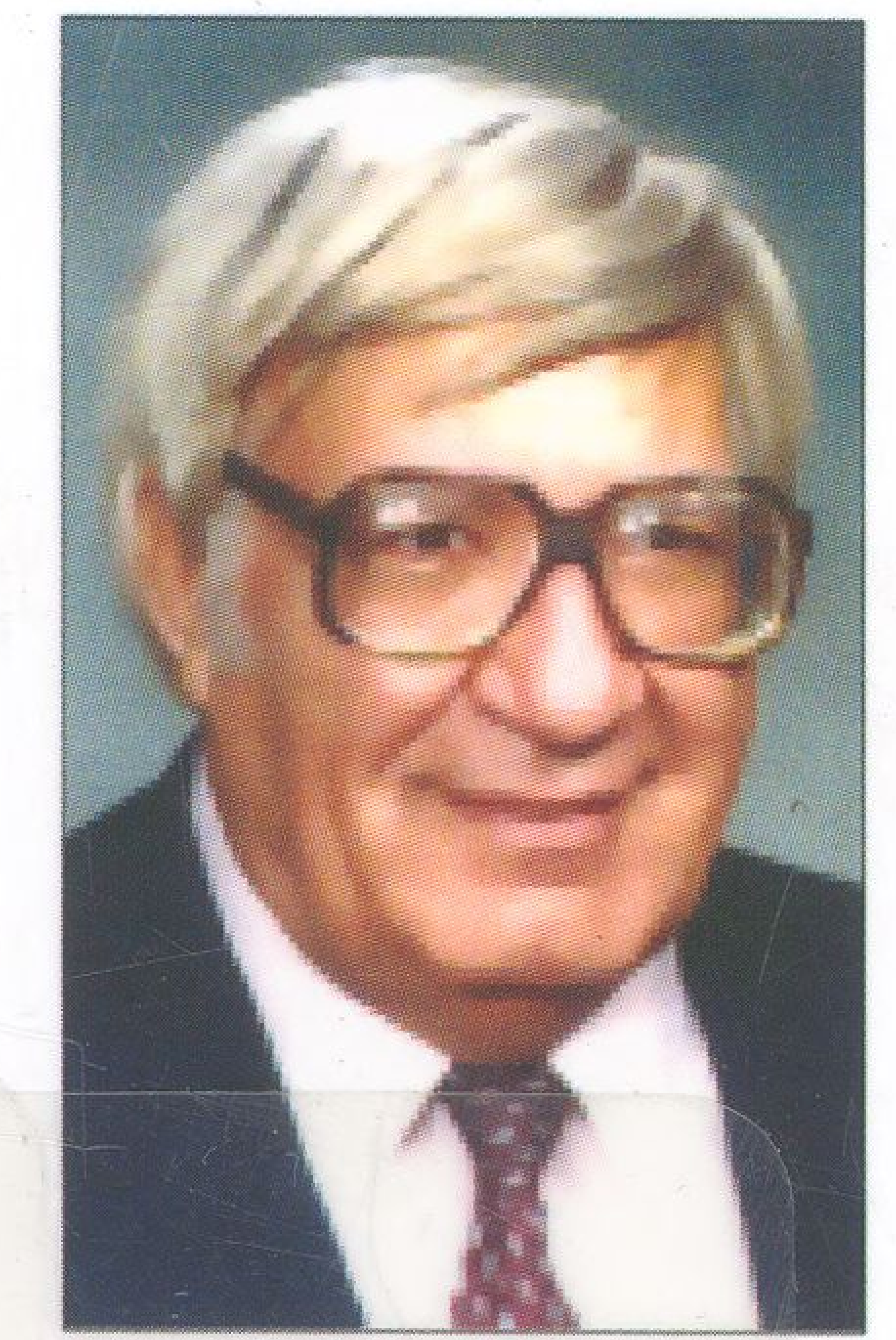
من كل هذا يتبين أن نظام الرهبنة العاملة ليست فكرة كاثوليكية أو أن الكنيسة القبطية تقلد أى كنيسة أخرى بل هى فكرة قبطية ويمارسها الرهبان والراهبات الأقباط منذ أيام القديس باخوميوس. إنه نظام قبطى أصلا وموضوعا وسارت عليه تقليدا بعض الكنائس الغربية. لقد قام الرهبان والراهبات الأقباط بأعمال عظيمة بأيديهم ليس لدى رهباننا وراهباتنا أى وقت فراغ ولكنها عبادة متواصلة سواء فى صلواتهم أو عباداتهم عن طريق العمل المتواصل الذى لا يتركون فيه أى وقت فراغ للأفكار الشاردة. أنهم قديسون بايمانهم قديسون بصلواتهم وقديسون بأعمالهم.

"لقد ظن الغرب أنه استطاع أن يأخذ الفضل فى إنشاء نظام سيكولوجية الرهبنة العاملة. ولكن الفضل كل الفضل يرجع للكنيسة القبطية فى إنشاء هذا النظام منذ العصور الأولى للمسيحية. كم أضافت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى الكنائس الغربية".

رقم الإيداع ١٤١١٠ / ٢٠٠٩



القديس
باخوميوس



عن المؤلف

تخرج الدكتور ماهر كامل من جامعة القاهرة ١٩٤١ وحصل على دبلوم معهد التربية العالي ٤٣ ودبلوم الدراسات العليا ٤٤ وماجستير في علم النفس ٤٥ بامتياز ودكتوراه بدرجة الشرف الممتازة في علم النفس ٥٣ من فرنسا ثم دكتوراه في الدراسات الدولية ٥٦ من سويسرا. قام بالتدريس بكلية المعلمين العليا بالقاهرة واشترك في تأسيس والتدريس بالكلية الاكليريكية العليا بالقاهرة بناء على دعوة من الـ
السادس. وبعد انتقاله إلى الولايات المتحدة أسند إلـ
أستاذ ورئيس قسم المواد الاجتماعية بجامعة نيوجرسـ
عاما للدراسات الدولية بنفس الجامعة، وكما قام بالـ
جامعة نيويورك الحكومية بنيويورك وبجامعة بنسـ
فيلادلفيا وكلية سان بيترز بجرسي سيتي واستد
مستشارا للكونجرس بالولايات المتحدة، كما تولى رئاسـ
المصرية الأمريكية لعدة سنوات. واشترك في تأسيس
قبطية في المهجر. ألف عشرين كتابا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، كما نشر عدة مقالات في الصحف العربية والأمريكية.

